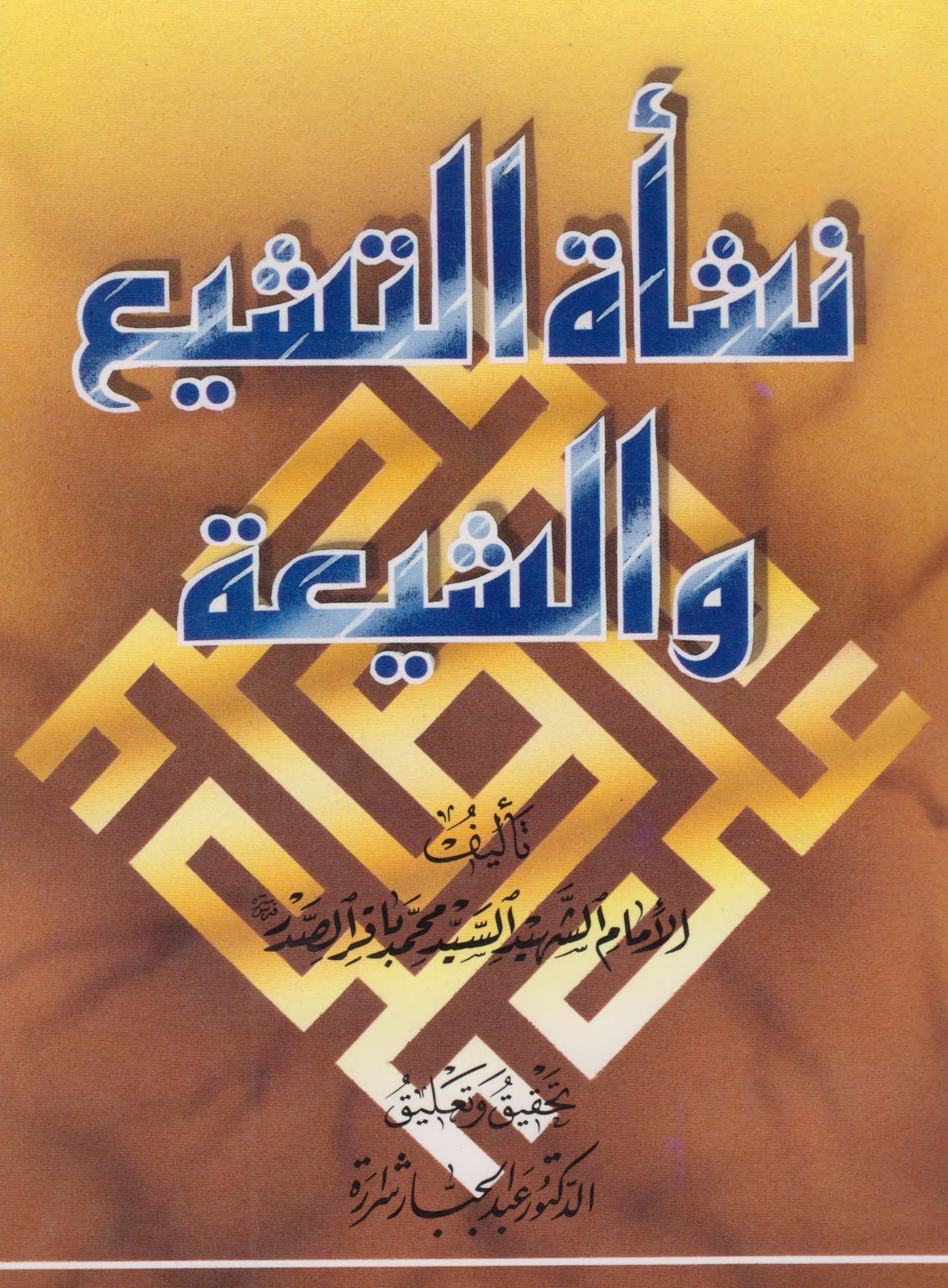



مركز الغدير للدراسات الإسلامية


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

# نشأة

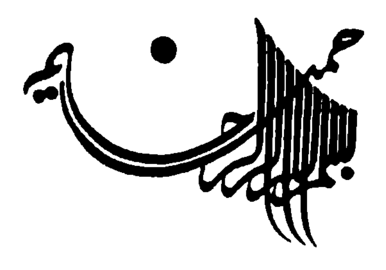
# التشيّع والشيعة

# نشأة
# التشيّع والشيعة

بقلم
الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر(رحمه الله)

تحقيق وتعليق
الدكتور عبدالجبار شراره

دائرة معارف الفقة الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت(عليهم السلام)
مركز الغدير للدراسات الإسلامية



الكتاب : نشأة التشيع والشيعة
المؤلّف : الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر
تحقيق : الدكتور عبدالجبار شرارة
الناشر : مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة
الطبعة : الثانية
شوال ١٤١٧هـ/١٩٩٧م
المطبعة : قدس
عدد النسخ : ٢٠٠٠

## مقدمة المحقق

### بين يدي المؤلف والكتاب :

إنَّ الإمام الشهيد الصدر (رضي الله عنه) ـ الذي يُنشر له هذا البحث ـ عالمٌ رباني، وفقيه من أعاظم فقهاء العصر، ومجاهدٌ في سبيل الله، متفانٍ في سبيل الإسلام إلىٰ درجة الاستشهاد. وهو (رضي الله عنه) كان ينبوعاً متدفقاً من العطاء العلمي الأصيل؛ فهو إمام فذٌّ في الدراسات الأصولية والفقهية، وعبقريٌّ نادر في المنطق ومناهج البحث، ومجدد في الفكر الإسلامي لمواجهة التحديات الفكرية المعاصرة، في الفلسفة والاقتصاد والاجتماع، وهو بعدَ ذلك كله قد أسهم باطروحاته، ونظراته، وآرائه الأصيلة في تأصيل المدرسة الإسلامية، وتجديد البحوث الكلامية، وإغناء المعرفة القرآنية، كما أرسىٰ دعائمَ منهجٍ علمي رصين في كل ما تناوله قلمُه الشريف من موضوعات.

إنَّ الدراسة الرائدة التي بين أَيدينا حول (قضية التشيّع) قد

نهج فيها الشهيد الصدر (رضي الله عنه) المنهج العلمي الرصين، وأحكم فيها المنطق النزيه، وسار في خطواتها بعمق الخبير البصير الذي يعرف منذ البداية كيف ينقل القارئ خطوة بعد خطوة بما يمليه منطق الحق.

لقد تناول الشهيد الصدر هذا الموضوع الخطير فجاء فيه علىٰ وجازته بما لم يسبقه إليه سابق، من قوة الحجة ومتانتها، ورصانة العبارة ودقتها، وحسن العرض ولطافته، مع كثرة نكته وإشاراته التي يفطن اليهاكل أديب وأريب، ولكنها تغيب عمن لم يمارس هذا النوع من البحوث الكلامية العميقة، ولم يلج ميدان الحِجاج والمناظرة، ولم يعالج من قبل النصوص النبويّة الشريفة، والوقائع التأريخية. ومع أهمية هذا البحث العميق موضوعاً واسلوباً ومعالجةً، إلّا أَنَّ مما يؤسف له أنه لم يُخرج إخراجاً يليق به، ولم يحظ بالتحقيق والتعليق بما يُرشد إلىٰ مظان الشواهد، ويوضح الدليل في موارد الإشارة، وينبه إلىٰ مواطن الحجة حتىٰ يتجلىٰ فيها للقارئ صدق المنطق فيطمئن إلىٰ منطق الصدق.

إنَّ هذا البحث ـ الذي بين يديك ـ كان في الأصل تصديراً بقلم الشهيد الصدر (رضي الله عنه) لكتاب الدكتور عبد الله فياض الموسوم بـ« تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة » الذي صدرت طبعته الأولى في بغداد ـ مطبعة أسعد ـ عام ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م. ثمَّ نُشرَ في كتابٍ مستقلٍ عام ١٣٩٧ هـ. فقد نُشر في القاهرة باشراف السيد طالب الحسيني الرفاعي ـ دار أهل البيت ـ مطابع الدجوي ـ عابدين ـ القاهرة،

الطبعة الأولى عام ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م، كما نُشر في العام نفسه من قبل دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت . ولكن كلتا الطبعتين لم تكونا وافيتين بالغرض؛ إذ لم تعتنيا بالتحقيق والتدقيق، ولم تهتما بتخريج الأحاديث وتوثيق النصوص، فضلاً عن كثرة الأخطاء المطبعية، علىٰ أن طبعة القاهرة قد حظيت ببعض التعليقات النافعة بقلم السيد الرفاعي، وكانت أحسن ضبطاً، وأقل أخطاءً. هذا مع اختلاف الطبعتين في العنوان، فبينما صدرت طبعة القاهرة بعنوان: «التشيّع ظاهرة طبيعية في اطار الدعوة الإسلامية». نجد أن الطبعة البيروتية صدرت بعنوان: «بحث حول الولاية».

من هنا مسّت الحاجةُ إلىٰ أَن ينالَ هذا البحث ما يستحقه من عناية التحقيق والتدقيق والتعليق. وقد جهدت كلَّ الجهد أن أضبط العبارة مستفيداً من الطبعات المذكورة، مراعياً التصحيحات اللازمة، أما العنوان فقد استأنست برأي سماحة آية الله السيد محمود الهاشمي الذي أشار عليَّ أن يكون العنوان: «نشأة التشيّع والشيعة». فكان هو العنوان الأَنسب.

وأخيراً فقد رأيتُ أن أُلحق بهذا البحث الأصيل للشهيد الصدر (رضي الله عنه) دراسةً علمية أترسم فيها المنهج الرصين نفسه، أُعالج فيها أمراً نبّه إليه الشهيد الصدر (رضي الله عنه)، ولكنه لم يبسط القول فيه ـ اعتماداً علىٰ ما يظهر ـ علىٰ أنه مما تضافر علىٰ نقله الرواة وتداولته كتب السيرة، وذلك هو: الإعداد الفكري والتربوي لإمامة عليٍّ (عليه السلام)، وخلافته.

**عملي في التحقيق:**

**أوّلاً**: لم يتوفر لدي سوىٰ ما أشرتُ اليه من النسخ المطبوعة، وسوىٰ التصدير الذي في مقدمة كتاب الدكتور عبد الله فياض الموسوم بـ« تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة ». ولما كانت نسخة طبعة القاهرة التي صدرت بإشراف السيد طالب الرفاعي هي أضبط النسخ وأكملها، لذلك اعتمدتها أصلاً، واستعنت بالطبعتين الأُخريين، طبعة دار التعارف البيروتية، والطبعة في مقدمة كتاب الدكتور فياض البغدادية، وذلك لضبط النص ومعالجة الأخطاء أو الاشتباهات التي وقعت في طبعة القاهرة.

**ثانياً**: أخرجتُ البحث إخراجاً جديداً، إذ تمَّ توزيعه علىٰ تمهيد وفصلين، عُنون الفصل الأول بـ«كيف وُلد التشيّع ؟ » وكما أراد المؤلف الباحث الشهيد الصدر أن يبرّزه، وقد وزعته علىٰ ثلاثة مباحث: اختص المبحث الأول بما عُنون بالطريق الأول وهو السلبية أي إهمال أمر الخلافة، وقد برّزت هذا العنوان طبعة القاهرة، وتناول المبحث الثاني الطريق الثاني وهو الإيجابية ممثلةً بنظام الشورىٰ، وعرض المبحث الثالث الطريق الثالث: الإيجابية ممثلة في إعداد ونصب من يقود الأُمة. أما الفصل الثاني فقد عُنْوِنَ بـ«كيف وجدت الشيعة ؟ ». ووزع أيضاً علىٰ ثلاثة مباحث، كان المبحث الأول حول الاتجاهين الرئيسيين اللذين رافقا نشوء الأُمة، واختصّ المبحث الثاني بالكلام علىٰ المرجعية الفكرية والقيادية، وعرض المبحث الثالث لمسألة التشيّع الروحي والتشيّع السياسي.

**ثالثاً**: رجعت إلىٰ المصادر التي أحالَ إليها الشهيد الصدر (رضي الله عنه)، ووثقتُ النصَّ الذي اعتمده، مشيراً إلىٰ الجزء والصفحة في الموارد التي لم يذكر فيها. وقد بلغت الإحالات في طول البحث ثلاثاً وعشرين إحالةً، وضعتُ إزاءها كلمة (الشهيد) بين قوسين كبيرين حفاظاً علىٰ الأصل المكتوب بهوامشهِ، وتمييزاً لها من الهوامش والتعليقات التي كتبتُها بقلمي.

**رابعاً**: بالنسبة إلىٰ النصوص التي أوردها الشهيد (رضي الله عنه)، أو أشارَ إليها، ولم يذكر المصدر قمتُ بتخريجها من مظانها المعتبرة، كما خرجّت الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة.

**خامساً**: الآراء والأفكار التي نبّه إليها الشهيد (رضي الله عنه)، وثقّتُ منها ما يحتاج إلىٰ توثيق.

**سادساً**: علقتُ بتعليقات مناسبة علىٰ كثير من المطالب، إما توضيحاً للمطلب أو تعزيزاً بالأدلة والشواهد.

أرجو الله تعالىٰ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم. والحمد لله ربّ العالمين.

**المحقق**

**د . عبدالجبار شرارة**

## التمهيد

جرىٰ بعض الباحثين علىٰ دراسة التشيّع بوصفه ظاهرة طارئة في المجتمع الإسلامي، والنظر إلىٰ القطاع الشيعي من جسم الأُمة الإسلامية بصفته قطاعاً تكوّن علىٰ مرِّ الزمن، نتيجةً لأحداثٍ وتطورات اجتماعية معينة، أدّت إلىٰ تكوينٍ فكريّ ومذهبي خاص لجزء من ذلك الجسم الكبير، ثم اتّسعَ ذلك الجزء بالتدريج[1].

إنَّ هؤلاء الباحثين، بعد أَن يفترضوا ذلك، يختلفون في تلك الأحداث والتطورات التي أدّت إلىٰ نشوء تلك الظاهرة وولادة ذلك

---

(١) راجع: الصلة بين التصوف والتشيّع /الدكتور كامل مصطفىٰ الشيبي /ج١/ص ١١ ـ ١٤، فقد عَرَض آراء كثيرٍ من الباحثين قدماء ومعاصرين حول نشأة التشيّع، وتطوره، وذكر أيضاً أَن بعضهم يفرقون بين التشيع السياسي والتشيّع الروحي (المذهبي).

وراجع أيضاً: إسلام بلا مذاهب / الدكتور مصطفى الشكعة / ص ١٥٣.

وأيضاً: النظريات السياسية الإسلامية / الدكتور ضياء الدين الريس / ص ٦٩.

الجزء. فمنهم من يفترض أَنَّ عبد الله بن سبأ[١] ونشاطه السياسي المزعوم كان هو الأساس لقيام ذلك التكتل الشيعي. ومنهم من يردّ ظاهرة التشيع إلىٰ عهد خلافة الإمام عليّ (عليه السلام)، وما هيأه ذلك العهد من مقامٍ سياسي واجتماعي علىٰ مسرح الأحداث. ومنهم من يزعم أن ظهور الشيعة يكمن في أحداث متأخرة عن ذلك في التسلسل التاريخي للمجتمع الإسلامي[٢].

والذي دعا ـ فيما أظن ـ كثيراً من هؤلاء الباحثين إلىٰ هـذا

(١) راجع: حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية للدكتور محمد جابر عبد العال: ص١٩، فقد نُسب هذا القول إلىٰ بعض المؤرخين المسلمين. ولكنه أورد أن برناردلويس وهو مستشرق معروف قد رفض ذلك.

ونقل عن فلهاوزن وفريدلندر وهما من كبار الباحثين قولهما: «إنَّ ابن سبأ هذا هو من اختلاق المتأخرين ...».

وقد ذكر الدكتور طه حسين في الفتنة الكبرىٰ: ٢/٣٢٧: «أَنَّ خصوم الشيعة بالغوا في أمر ابن سبأ هذا ليشنعوا علىٰ عليٍّ وشيعته ...» وقال: «نحن لا نجد لابن سبأ ذكراً في المصادر المهمة .. فلم يُذكر في أنساب الأشراف للبلاذري، وقد ذكره الطبري في تأريخه عن سيف بن عمر التميمي ...».

(وسيف هذا قال عنه ابن حبان: يروي الموضوعات، وقالوا انه يضع الحديث، وقال الحاكم عنه انه اتُّهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط). راجع تهذيب التهذيب لابن حجر: ٤ / ٢٦٠، وراجع حول أُسطورة ابن سبأ للعلامة مرتضىٰ العسكري في كتابه: عبدالله بن سبأ.

(٢) راجع الصلة بين التصوف والتشيع / السابق.

راجع أيضاً تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة للدكتور عبد الله فياض.

وكذلك إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة: ص١٥٢، وما بعدها.

وراجع: النظريات السياسية الإسلامية للدكتور ضياء الدين الريس: ص٧٢ وما بعدها.

الافتراض والاعتقاد بأن «التشيّع» ظاهرة طارئة في المجتمع الإسلامي، هو أَنَّ الشيعة لم يكونوا يمثلون في صدر الإسلام إلّا جزءاً ضئيلاً من مجموع الأُمة الإسلامية.

فقد أوحت هذه الحقيقة شعوراً بأَنَّ اللاتشيع كان هو القاعدة في المجتمع الإسلامي، وأنَّ التشيع هو الاستثناء والظاهرة الطارئة التي يجب اكتشاف أسبابها من خلال تطورات المعارضة للوضع السائد.

ولكن اتخاذ الكثرة العددية والضآلة النسبية أساساً لتمييز القاعدة والاستثناء أو الأصل والانشقاق، ليس شيئاً منطقياً؛ فمن الخطأ إعطاء الإسلام اللاشيعي صفة الأصالة علىٰ أساس الكثرة العددية، واعطاء الإسلام الشيعي صفة الظاهرة الطارئة ومفهوم الانشقاق، علىٰ أساس القلة العددية؛ فإنَّ هذا لا يتفق مع طبيعة الانقسامات العقائدية؛ إذ كثيراً ما نلاحظ انقساماً عقائدياً في إطار رسالة واحدة، يقوم علىٰ أساس الاختلاف في تحديد بعض معالم تلك الرسالة، وقد لا يكون القسمان العقائديان متكافئين من الناحية العددية ولكنهما في أصلهما معبران بدرجةٍ واحدةٍ عن الرسالة المختلف بشأنها، ولا يجوز بحالٍ من الأحوال أن نبني تصوراتنا عن الانقسام العقائدي داخل إطار الرسالة الإسلامية إلىٰ شيعةٍ وغيرهم، علىٰ الناحية العددية[١]، كما لا يجوز أيضاً أن نقرن ولادة الاطروحة

---

(١) نعم ليس متسقاً مع المنطق، وليس متسقاً مع منطق القرآن الكريم أيضاً؛ فالقرآن نجده ⇐

الشيعية ، في إطار الرسالة الإسلامية ، بولادة كلمة « الشيعة » أو « التشيّع » كمصطلح واسم خاص لفرقةٍ محددة من المسلمين ، لأنَّ ولادة الأسماء والمصطلحات شيءٌ ، ونشوء المحتوىٰ وواقع الاتجاه والإطروحة شيءٌ آخر ، فإذا كنّا لا نجد كلمة « الشيعة »(٥) في اللغة السائدة في حياة الرسول صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، أو بعد وفاته ، فلا يعني هذا أَنَّ الإطروحة والاتجاه الشيعي لم يكن موجوداً .

---

⇐ غالباً ـ إن لم يكن دائماً ـ يذمّ الكثرة في موارد كثيرة جداً ، كما نجده يمدح القلة في موارد مثلها ، فقد جاء مثلاً قوله تعالىٰ : ﴿... وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ النمل/٧٣ ، وجاء قوله تعالىٰ : ﴿... وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ سبأ/١٣ ، وجاء قوله تعالىٰ : ﴿... وإنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ المائدة/٤٩ ، وجاء قوله تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾ الواقعة/ ١١ ـ ١٤ .

هذا من وجهٍ ، ومن وجهٍ آخر نجدُ القرآن الكريم ينبه في موارد كثيرة إلىٰ أن الذين يتبعون الحق ويتبعون الرسل ، وينقادون للتعاليم الإلٰهية قليلون دائماً بالقياس إلىٰ الكثرة من المعاندين للحق ، قال تعالىٰ : ﴿... وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ المؤمنون/٧٠ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يوسف/١٠٣ ، وفي كل ذلك إشارة إلىٰ بطلان اعتماد معيار الكثرة لتقييم صحة الاتجاه ، وصحة الرأي في مثل هذه الأمور .

وراجع : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن / محمد فؤاد عبد الباقي / ص٥٩٧ وما بعدها .

(٥) الظاهر أن الشهيد الصدر ( رضوان الله عليه ) يذكر هذا من باب التنزل والتسامح ، و إلا فإن هناك نصوصاً نبوية تصرّح بلفظ الشيعة مقرونة بعلي ، جاء في مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور/ج ١٧ / ص ٣٨٤ : عن عليّ ( عليه السّلام ) قال : « قال لي رسول الله ( صلّىٰ الله عليه وآله ) : أنت وشيعتك في الجنة » . وفي ج١٨ / ص ١٤ منه رواية اخرىٰ عن جابر . وراجع : النهاية / لابن الأثير / مادة قمح :ج ٤ / ص ١٠٦ ، « ستقدم أنت وشيعتك راضين مرضيين ... » الخطاب لعلي ( عليه السلام ) .

فبهذه الروح يجب أن نعالج قضية « التشيّع » و« الشيعة » ، ونجيب عن السؤالين الآتيين :

كيف وُلِدَ التشيّع ؟

وكيف وُجِدت الشيعة ؟

# الفصل الأول

# نشأة التشيع

## المبحث الأول

❀ الموقف السلبي : إهمال أمر الخلافة

## المبحث الثاني

❀ الإيجابية ممثلة بنظام الشورىٰ

## المبحث الثالث

❀ الإيجابية ممثلة بالاختيار والتعيين

## تمهيد

أما فيما يتعلق بالسؤال الأول: «كيف وُلد التشيّع ؟» فنحن نستطيع أن نعتبرَ التشيّع نتيجة طبيعية للإسلام، وممثلاً لإطروحة كان من المفروض للدعوة الإسلامية أن تتوصّلَ اليها حفاظاً علىٰ نموها السليم.

ويمكننا أن نستنتج هذه الإطروحة استنتاجاً منطقياً من الدعوة التي كان الرسول الأعظم (صلّىٰ الله عليه وآله) يتزعم قيادتها بحكم طبيعة تكوينها، ونوع الظروف التي عاشتها، فإنَّ النبي (صلّىٰ الله عليه وآله)، كان يباشر قيادة دعوة انقلابية، ويمارس عملية تغيير شاملٍ للمجتمع وأعرافه وأنظمته ومفاهيمه، ولم يكن الطريق قصيراً أمام عملية التغيير هذه، بل كان طريقاً طويلاً وممتداً بامتداد الفواصل المعنوية الضخمة بين الجاهلية والإسلام. فكان علىٰ الدعوة التي يمارسها النبي أَن تبدأ بإنسان الجاهلية فتنشئه إنشاءً جديداً، وتجعل

منه الإنسان الإسلامي، الذي يحمل النور الجديد إلىٰ العالم، وتجتث منه كل جذور الجاهلية ورواسبها[(٦)].

وقد خطا القائد الأعظم (صلّىٰ الله عليه وآله) بعملية التغيير خطواتٍ مدهشة، في برهةٍ قصيرة، وكان علىٰ العملية التغييرية أَن تواصل طريقها الطويل حتىٰ بعد وفاة النبي (صلّىٰ الله عليه وآله). وكان النبي يدرك منذ فترةٍ قبل وفاته، أَنَّ أجلَه قد دنا، وأعلن ذلك بوضوح في «حجة الوداع»[(٧)]، ولم يفاجئه الموت مفاجأة. وهذا يعني أنه كان يملك فرصةً كافية للتفكير في مستقبل الدعوة بعده، حتىٰ إذا لم تُدخل في الموقف عاملَ الاتصال الغيبي والرعاية الإلٰهية المباشرة للرسالة عن طريق الوحي[(٨)]. وفي هذا الضوء يمكننا أن نلاحظ أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان أمامه ثلاثة طرق بالامكان انتهاجها تجاه مستقبل الدعوة. أولهما: الطريق السلبي، وثانيهما: الطريق الإيجابي ممثلاً بالشورىٰ وثالثهما: التعيين [وهنا ثلاثة مباحث].

---

(٦) جاء في القرآن الكريم قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ الحديد/ ٩.

(٧) جاء ذلك عنه صلوات الله وسلامه عليه في خطبة حجة الوداع إذ قال: «ألا و إني اوشك أن أُدعىٰ فأُجيب ... وفي رواية كأني قد دعيت فأجبتُ، واني تركت فيكم الثقلين ...»/ صحيح مسلم /ج ٤ /ص ١٨٧٤، وعن عبد الله بن مسعود قال: «كنّا مع النبي (صلّىٰ الله عليه وآله) ليلةً فتنفّس، فقلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: نُعيت اليّ نفسي ...» مختصر تاريخ ابن عساكر / ج ١٨ /ص ٣٢.

(٨) بمعنىٰ أننا لو افترضنا أنَّ النبيّ حريصٌ علىٰ دعوته المباركة ـ كما هو شأنه ـ وعلىٰ أن تصلَ هذه الدعوة إلىٰ مداها المقدر لها، وقد كان متطلعاً إلىٰ أن تصلَ إلىٰ العالم أُجمع، فإنَّ هذا بحد ذاته يقتضيه أن يحسب حساب المستقبل.

# المبحث الأول

## الموقف السلبي : إهمال أمر الخلافة[*]

وذلك بأن يقف من مستقبل الدعوة موقفاً سلبياً، ويكتفي بممارسة دوره في قيادة الدعوة وتوجيهها فترة حياته، ويترك مستقبلها للظروف والصدف.

وهذه السلبية في الموقف لا يمكن افتراضها في النبي (صلىٰ الله عليه وآله)، لأنها إنما تنشأ من أحد أمرين كلاهما لا ينطبقان عليه :

**الأمر الأول :**

الاعتقاد بأن هذه السلبية والإهمال لا تؤثر علىٰ مستقبل الدعوة، وإن الأُمة التي سوف يخلّف الدعوة فيها قادرة علىٰ التصرف

---

(*) عناوين المباحث الثلاثة للفصلين الأُول والثاني مستوحاة من كلام السيد الشهيد الصدر وهي ليست في الأصل.

بالشكل الذي يحمي الدعوة، ويضمن عدم الانحراف.

وهذا الاعتقاد لا مبرر له من الواقع إطلاقاً، بل إنَّ طبيعة الأشياء كانت تدل علىٰ خلافه، لأنَّ الدعوةَ ـ بحكم كونها عملاً تغييرياً انقلابياً في بدايته، يستهدف بناء أمة واستئصال كل جذور الجاهلية منها ـ تتعرض لأكبر الأخطار إذا خلت الساحة من قائدها، وتركها دون أي تخطيط، فهناك :

**أولاً**: الأخطار التي تنبع عن طبيعة مواجهة الفراغ دون أي تخطيط مسبقٍ، وعن الضرورة الآنية لاتخاذ موقف مرتجل في ظل الصدمة العظيمة بفقد النبي، فإنّ الرسول (صلىٰ الله عليه وآله) إذا ترك الساحة دون تخطيط لمصير الدعوة فسوف تواجه الأُمة، ولأول مرة، مسؤولية التصرف بدون قائدها تجاه أخطر مشاكل الدعوة، وهي لا تمتلك أي مفهوم سابق بهذا الصدد، وسوف يتطلب منها الموقف تصرفاً سريعاً آنيّاً علىٰ رغم خطورة المشكلة، لأنَّ الفراغ لا يمكن أن يستمر(٩)، وسوف يكون هذا التصرف السريع في لحظة الصدمة التي تُمنىٰ بها الأُمة، وهي تشعر بفقدها لقائدها الكبير، هذه الصدمة التي تزعزع بطبيعتها سير التفكير، وتبعث علىٰ الاضطراب حتىٰ أنها جعلت

---

(٩) أصبح معلوماً أن شغور كرسي الرئاسة في الدولة يستتبع محاذير وأخطاراً لا حصرَ لها، بالأُخص إذا لم تكن ثمةَ ضوابط دستورية محددة واضحة لملئه بشكل عاجل. راجع النظريات السياسية الإسلامية / الدكتور الريس / ص ١٣٤.

صحابياً معروفاً يعلن ـ بفعل الصدمة ـ أن النبي لم يمت ولن يموت[١٠]. نعم سوف يكون مثل هذا التصرف محفوفاً بالخطر غير محمود العواقب.

**ثانياً**: وهناك الأخطار التي تنجم عن عدم النضج الرسالي بدرجةٍ تضمن للنبي، سلفاً، موضوعية التصرف الذي سوف يقع، وانسجامه مع الإطار الرسالي للدعوة، وتغلبه علىٰ التناقضات الكامنة التي كانت لا تزال تعيش في زوايا نفوس المسلمين علىٰ أساس الانقسام الىٰ مهاجرين وأنصار، أو قريش وسائر العرب، أو مكة والمدينة[١١].

**ثالثا**: هناك الأخطار التي تنشأ لوجود القطاع المتستر بالإسلام، والذي كان يكيد له في حياة النبي (صلىٰ الله عليه وآله) باستمرار، وهو القطاع الذي كان يسميه القرآن «بالمنافقين»[١٢]. وإذا أضفنا اليهم عدداً

---

(١٠) راجع الملل والنحل / الشهرستاني / ج١ / ص١٥ فقد جاء فيه: قال عمر بن الخطاب: «من قال إنَّ محمداً مات قتلته بسيفي هذا، و إنما رفع الىٰ السماء...». وراجع تاريخ الطبري / محمد بن جرير الطبري / ج٢ / ص ٢٣٣.. قال: «إن محمداً لم يمت وانه خارجٌ الى من أرجف بموته وقاطع أيديهم وضارب أعناقهم ...».

(١١) هناك أكثر من شاهد علىٰ هذه الحالة، فقد روىٰ الشيخان والترمذي في كتاب التفسير عن جابر بن عبدالله قال: «كنّا في غزاة فكسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: ياللأنصار، وقال المهاجري ياللمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) فقال: ما بالُ دعوىٰ الجاهلية ... وسمع ابن سلول فقال: فعلوها، والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعزُّ منّا الأذل». التاج الجامع للأصول / الشيخ ناصف / ج ٤ / ص٢٦٣.

(١٢) حاول قطاع المنافقين في حياة النبي محمد (صلىٰ الله عليه وآله) أن يقوم بأدوار خطيرة جداً في الكيد للإسلام وللرسول وللمسلمين. لاحظ مثلاً ما نقلناه في الهامش السابق من ←

كبيراً ممن أسلم بعد الفتح، استسلاماً للأمر الواقع لا انفتاحاً على الحقيقة، نستطيع حينئذٍ أن نقدر الخطر الذي يمكن لهذه العناصر أن تولده وهي تجد فجأةً فرصة لنشاط واسع في فراغ كبير، مع خلو الساحة من رعاية القائد(١٣).

فلم تكن إذن خطورة الموقف بعد وفاة النبي (صلىٰ الله عليه وآله) شيئاً يمكن أن يخفىٰ علىٰ أيّ قائد مارَس العمل العقائدي فضلاً عن خاتم الأنبياء(١٤). وإذا كان أبو بكر لم يشأ أن يترك الساحة دون أن يتدخل تدخلاً ايجابياً في ضمان مستقبل الحكم بحجة الاحتياط

---

قول ابن سلول ـ رأس المنافقين ـ ولاحظ ما أثاروه وروجوه مثلاً في حادثة الإفك، وفي إشاعة الأراجيف كما حصل في معركة أُحد، وفي معركة الأحزاب. وقد أنزل الله تعالىٰ في القرآن سورة المنافقين سلط فيها الأضواء علىٰ هذا القطاع الخبيث، وعرّف الرسول بنواياهم وما يخبئون.

راجع مثلاً تفسير الفخر الرازي / ج ٨ / ص١٥٧ ط١ / الخيرية ١٣٠٨ هـ مصر، وراجع الكشاف / الزمخشري / ٤ : ص ٨١١.

(١٣) لاحظ توقع حدوث ظاهرة خروج أعداد كبيرة من الدين بالنسبة لمن أسلم بعد الفتح، حديث جابر بن عبدالله الأنصاري قال: « سمعت رسول الله يقول: دخل الناس أفواجاً وسيخرجون أفواجاً...»، ولاحظ أيضاً حركة الارتداد التي حصلت بعد وفاة النبي (صلىٰ الله عليه وآله) مع تحذيراته الكثيرة من تلك الحالة. الكشاف /ج ٤/ ص ٨١١، وراجع تاريخ الطبري / ج ٢ ص ٢٤٥. وراجع حديث الحوض المشهور في قوله (صلىٰ الله عليه وآله): « أنا فرطكم على الحوض فيؤتىٰ برجال أعرفهم فيمنعون مني فأقول أصحابي فيقال :إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً سحقاً لمن بدّل بعدي». راجع صحيح البخاري /ج٨/ص٨٦ كتاب الفتن.

(١٤) المصدر السابق.

للأمر[١٥]. وإذا كان الناس قد هرعوا الى عمر حين ضُرب قائلين: «يا أمير المؤمنين لو عهدت عهداً»[١٦]، وكل ذلك كان خوفاً من الفراغ الذي سوف يخلفه الخليفة، بالرغم من التركز السياسي والاجتماعي الذي كانت الدعوة قد بلغته بعد عقدٍ من وفاة الرسول (صلىٰ الله عليه وآله)، وإذا كان عمر قد أوصىٰ الىٰ ستة[١٧] تجاوباً مع شعور الآخرين بالخطر، وإذا كان عمر يدرك بعمق خطورة الموقف في يوم السقيفة، وما كان بالامكان أن تؤدي اليه خلافة أبي بكر بشكلها المرتجل من مضاعفات، إذ يقول: «إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة غير أن الله وقىٰ شرها ...»[١٨]، وإذا كان أبو بكر نفسه يعتذر عن تسرعه إلى قبول الحكم، وتحمل المسؤوليات الكبيرة، بأنه شعر بخطورة الموقف، وضرورة الاقدام السريع علىٰ حلٍّ ما، إذ يقول ـ وقد عوتب علىٰ قبول السلطة ـ: «إنّ رسولَ الله (صلىٰ الله عليه وآله) قُبض، والناس حديثو عهد بالجاهلية، فخشيتُ أن يفتتنوا، وإنَّ أصحابي حملونيها»[١٩] إذا

---

(١٥) راجع قصة استخلاف أبي بكر لعمربن الخطاب، وقوله: «إنكم إن أمرتم في حياة مني كان أجدر ألّا تختلفوا بعدي... ». مختصر تاريخ ابن عساكر/ج١٨/ص٣٠٨/٣٠٩، وراجع تاريخ الطبري/ج٢ / ص٢٤٥، ص٢٨٠.

(١٦) راجع تاريخ الطبري / ج٢ /ص ٥٨٠ (الشهيد)، مختصر تاريخ ابن عساكر / لابن منظور ج ١٨ / ص٣١٢.

(١٧) تاريخ الطبري / ج٢ / ص٥٨١ (الشهيد).

(١٨) تاريخ الطبري / ج٢ / ص٢٠٥ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، السابق ج٢ / ص٥٨١.

(١٩) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد / تحقيق أبو الفضل إبراهيم / ج٢ ص٤٢ (الشهيد)، وراجع تاريخ الطبري / ج٢ / ص٣٥٣. قال ابو بكر: «وودت لو لم أقبلها ... ».

كان كل ذلك صحيحاً[٢٠]، فمن البديهي إذن أن يكون رائد الدعوة ونبيُّها اكثر شعوراً بخطر السلبية[٢١]، وأكبر ادراكاً، وأعمق فهماً لطبيعة الموقف ومتطلبات العمل التغييري الذي يمارسه في أمةٍ حديثة عهدٍ بالجاهلية علىٰ حدّ تعبير أبي بكر[٢٢].

## الأمر الثاني ـ النظرة المصلحية:

إنّ الأمر الثاني الذي يمكن أن يفسر سلبية القائد تجاه مستقبل الدعوة، ومصيرها بعد وفاته، أنه علىٰ رغم شعوره بخطر هذا الموقف، لايحاول تحصين الدعوة ضد ذلك الخطر، لأنه ينظر الى الدعوة نظرة مصلحية، فلا يهمه إلا أن يحافظ عليها ما دام حيّاً

---

(٢٠) راجع: الفاروق عمر للدكتور محمد حسين هكيل /ج ٢ /ص٣١٣ / ٣١٤: «كان عمر يودّ لو يتمّ التشاور، ويختاروا خليفة، قبل أن يُقبض ليموت مطمئناً الى مصير الإسلام من بعده... ».

(٢١) إنّ حرص النبي محمد (صلىٰ الله عليه وآله) علىٰ دعوته المباركة وعلىٰ وحدة الأُمة ومصير الإسلام، لابدّ أن يكون بالضرورة أكثر من حرص أصحابه وأشدّ، قال تعالى: ﴿... عَزِيزٌ عَلَيهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة / ١٢٨ . والأهم فإنّ توعيته للأمة وتربيته لأصحابه في ضرورة تجنب الاختلاف، وممارساته العملية بهذا الشأن لا تحتاج الى دليل، فضلاً عن كون القرآن قد طفح بعشرات الآيات التي تدعو الى نبذ الخلاف، والتنفير من أسبابه ودواعيه، فكيف يمكن تصور أن يترك النبي الرحيم أهم سبب يدعو الى التنازع وهو الرئاسة دون أن يضع مامن شأنه أن يعطله ويغلق الباب دون تفاعلاته، مع أن هذا الادراك كما يقولون دفع الخليفتين الأول والثاني الى الاستخلاف كما صرحوا به هم انفسهم. / تاريخ الطبري /ج ٢ / ص ٥٨٠.

(٢٢) المصدر السابق.

ليستفيد منها، ويستمتع بمكاسبها، ولا يُعنىٰ بحماية مستقبلها بعد وفاته.

وهذا التفسير لا يمكن أن يصدق علىٰ النبي محمد ( صلّىٰ الله عليه وآله ) ، حتىٰ إذا لم نلاحظه بوصفه نبيّاً ومرتبطاً بالله سبحانه وتعالىٰ في كل ما يرتبط بالرسالة ، وافترضناه قائداً رسالياً كقادة الرسالات الأُخرىٰ ، لأنَّ تاريخ القادة الرساليين لا يملك نظيراً للقائد الرسول محمد ( صلّىٰ الله عليه وآله ) ، في إخلاصه لدعوته ، وتفانيه فيها، وتضحيته من أجلها الى آخر لحظة من حياته. وكل تاريخه يبرهن علىٰ ذلك ، فقد كان ( صلّىٰ الله عليه وآله ) علىٰ فراش الموت وقد ثقل مرضه ، وهو يحمل همَّ معركة كان قد خطط لها ، وجهزّ جيش اسامة لخوضها ، فكان يقول : « جهزوا جيش اسامة ، أنفذوا جيش اسامة ، ارسلوا بعث اسامة » ، يكرر ذلك ، ويغمىٰ عليه بين الحين والحين[٢٣] ، فإذا كان اهتمام الرسول ( صلّىٰ الله عليه وآله ) بقضية من قضايا الدعوة العسكرية يبلغ الى هذه الدرجة ، وهو يجود بنفسه علىٰ فراش الموت ، ولا يمنعه علمه بأنه سيموت قبل أن يقطف ثمار تلك المعركة ، عن تبنيه لها ، وإنَّ تكون همه الشاغل وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فكيف يمكن أن نتصور أن النبي لا يعيش هموم مستقبل الدعوة ، ولايخطط لسلامتها ، بعد وفاته (صلوات الله عليه) من الأخطار المرتقبة ؟!

وأخيراً فإنَّ في سلوك الرسول ( صلّىٰ الله عليه وآله ) في مرضه

---

(٢٣) راجع : تاريخ الكامل /لابن الأثير / ج٢ / ص٣١٨ (الشهيد) ، وراجع أيضاً الطبقات الكبرىٰ لابن سعد / ج٢ / ص٢٤٩.

الأخير رقماً واحداً يكفي لنفي الطريق الأول، وللتدليل علىٰ أنَّ القائد الأعظم، نبينا محمد (صلى الله عليه آله) كان أبعد ما يكون من فرضية الموقف السلبي تجاه مستقبل الدعوة، لعدم الشعور بالخطر، أو لعدم الاهتمام بشأنه، وهذا الرقمُ أجمعت صحاح المسلمين جميعاً ـ سنةً وشيعة ـ علىٰ نقله، وهو أنَّ الرسول (صلّىٰ الله عليه وآله) لما حضرته الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي (صلّىٰ الله عليه وآله): «ائتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»[٢٤]. فإنّ هذه المحاولة من القائد الكريم، المتفق علىٰ نقلها وصحتها تدلُّ بكل وضوح علىٰ أنه كان يفكر في أخطار المستقبل، ويدرك بعمقٍ ضرورة التخطيط لتحصين الأُمة من الانحراف، وحماية الدعوة من التميّع والانهيار، فليس إذن من الممكن افتراض الموقف السلبي [٢٥] من النبي (صلىٰ الله عليه وآله) بحال من الأحوال.

---

(٢٤) راجع: صحيح البخاري /ج ١ /ص ٣٧ كتاب العلم، ج ٨ /ص ١٦١ كتاب الاعتصام (الشهيد) وراجع: صحيح مسلم /ج ٥ /ص ٧٦ باب الوصية /مطبعة محمد علي صبيح القاهرة. (الشهيد) مسند الإمام أحمد /ج ١ /ص ٣٥٥، وراجع الطبقات الكبرىٰ /لابن سعد /ج ٢ / ص ٢٤٢/٢٤٤ (الشهيد).

(٢٥) إنّ كلَّ مسلم يؤمن بعظمة شخصية الرسول القائد (صلىٰ الله عليه وآله)، فضلاً عن إيمانه بأنه نبيٌّ رسول، يقتضيه ذلك الإيمان استبعاد مثل هذه الفرضية مطلقاً، بل يلزم القول بامتناعها في حقه عليه الصلاة والسلام، وذلك لسببين علىٰ الأقل: أولهما: إنه خلاف المعهود من سيرته صلوات الله وسلامه عليه بإجماع الملة، تلك السيرة المشرقة الزاخرة بالعمل والجهاد المتواصل بلا انقطاع من أجل التغيير والبناء وانقاذ الأُمة. وثانيهما: إنه مخالف لما تواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه، ولما ربّىٰ الأُمة عليه، من الاهتمام بالأمور حتى قال: «من أصبح ولم يهتم بإمور المسلمن فليس منهم» اصول الكافي /ج ٢ / ص ١٣١. ولذا يكون اهماله الاهتمام بمستقبل الدعوة، ومستقبل الأُمة يعني الأخلال الصريح بمصداقيته وعهوده.

# المبحث الثاني

## الإيجابية ممثلةً بنظام الشورىٰ

إنّ الطريق الثاني المفترض ، هو أن يخطط الرسول القائد ( صلّىٰ الله عليه وآله ) لمستقبل الدعوة بعد وفاته ، ويتخذ موقفاً إيجابياً، فيجعل القيمومة علىٰ الدعوة ، وقيادة التجربة للأمة ممثلةً ـ علىٰ أساس نظام الشورىٰ ـ في جيلها العقائدي الأول الذي يضمُّ مجموع المهاجرين والأنصار ، فهذا الجيل الممثل للأمة هو الذي سيكون قاعدة للحكم ، ومحوراً لقيادة الدعوة في خط نموها.

بالنسبة لهذا الافتراض ، يلاحظ هنا أن طبيعة الأشياء ، والوضع العام الثابت عن الرسول الأكرم والدعوة والدعاة ، يرفض هذه الفرضية ، وينفي أن يكون النبي ( صلّىٰ الله عليه وآله ) قد انتهج هذا الطريق ، واتجه الى ربط قيادة الدعوة بعده مباشرةً بالأمة ممثلة في جيلها الطليعي من المهاجرين والأنصار علىٰ أساس نظام الشورىٰ.

وفيما يأتي بعض النقاط التي توضح ذلك :

**النقطة الأولىٰ:**

لو كان النبي ( صلّىٰ الله عليه وآله ) قد اتخذ من مستقبل الدعوة بعده موقفاً إيجابياً يستهدف وضع نظام الشورىٰ موضع التطبيق ، بعد وفاته مباشرةً ، وإسناد زعامة الدعوة الى القيادة التي تنبثق عن هذا النظام ، لكان من أَبْدَهِ الأشياء التي يتطلبها هذا الموقف الإيجابي ، أن يقوم الرسول القائد بعملية توعيةٍ للأمة والدعاة علىٰ نظام الشورىٰ ، وحدوده وتفاصيله ، وإعطائه طابعاً دينياً مقدساً، وإعداد المجتمع الإسلامي إعداداً فكرياً وروحياً لتقبل هذا النظام، وهو مجتمع نشأ من مجموعة من العشائر، لم تكن قد عاشت ـ قبل الإسلام ـ وضعاً سياسياً علىٰ أساس الشورىٰ ، وإنما كانت تعيش ، في الغالب ، وضع زعامات قبلية وعشائرية تتحكم فيها القوة والثروة وعامل الوراثة إلى حد كبير[٢٦] .

ونستطيع بسهولة أن ندرك أن النبي ( صلّىٰ الله عليه وآله ) لم يمارس عملية التوعية علىٰ نظام الشورىٰ ، وتفاصيله التشريعية، ومفاهيمه الفكرية ، لأنّ هذه العملية لو كانت قد اُنجزت ، لكان من الطبيعي أن تنعكس وتتجسد في الأحاديث المأثورة عن النبي ( صلّىٰ الله عليه وآله ) ، وفي ذهنية الأُمة ، أو علىٰ الأقل في ذهنية الجيل

(٢٦) راجع : النظم الإسلامية / الدكتور عبد العزيز الدوري / ص٧، مطبعة نجيب ـ بغداد ١٩٥٠م أيضاً النظم الإسلامية / الدكتور صبحي الصالح / ص ٥٠ / دار العلم للملايين ١٩٦٥.

الطليعي منها، الذي يضمُّ المهاجرين والأنصار، بوصفه هو المكلف بتطبيق نظام الشورىٰ، مع أننا لا نجدُ في الأحاديث عن النبي (صلّىٰ الله عليه وآله) أيَّ صورةٍ تشريعية محددة لنظام الشورىٰ[٢٧].

وأما ذهنية الأُمة أو ذهنية الجيل الطليعي منها فلا نجد فيها أيَّ ملامح أو انعكاسات محددة لتوعيةٍ من ذلك القبيل. فإنَّ هذا الجيل كان يحتوي علىٰ اتجاهين، أحدهما الاتجاه الذي يتزعمه أهل البيت، والآخر الاتجاه الذي تمثله السقيفة والخلافة التي قامت فعلاً بعد وفاة النبي (صلّىٰ الله عليه وآله).

**فأما الاتجاه الأول**؛ فمن الواضح أنه كان يؤمن بالوصاية والإمامة، ويؤكد علىٰ القرابة، ولم ينعكس منه الإيمان بفكرة الشورىٰ[٢٨].

---

(٢٧) يعترف الدكتور ضياء الدين الريس في كتابه «النظريات السياسية الإسلامية» بأن الخلافة بالصورة التي انتهىٰ اليها نظام الشورىٰ لم يكن أساسها الأحاديث، و إنما إجماع الصحابة علىٰ حدّ زعمه.ص١٠٦ في الهامش ردّاً علىٰ آرنولد. ويظهر ذلك بصورة أوضح في معرض ردّه ومناقشته للدكتور عليّ عبدالرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم» إذ نفىٰ هذا الأخير وجود أي نصوص تشريعية حديثية يستفاد منها نظام الحكم والسياسة وقد ردَّ عليه الدكتور الريس، محتجاً بما جرت عليه سيرة الخلفاء الراشدين و إنَّ فعلهم ذاك هو الآخر له قيمة تشريعية في الإسلام. راجع ص١٧٤ / ١٧٥.

وراجع مناقشة وافية شافية كافية للنصوص التي قيل انها في الشورىٰ / اساس الحكومة الاسلامية للعلامة السيد كاظم الحائري / ص٨١ ومابعدها ـ مطبعة النيل ـ بيروت / ١٣٩٩.

(٢٨) راجع انكار الإمام عليّ «ع» فكرة الشورى، واحتجاجه علىٰ المؤتمرين في السقيفة عندما احتج أبو بكر بالقرابة من رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) / الخطبة الشقشقية وقوله عليه السلام: فيالله وللشورىٰ ...» نهج البلاغة / شرح الإمام محمد عبده / ج١ /ص٣٠ /٣٤.

**وأما الاتجاه الثاني**؛ فكل الأرقام والشواهد في حياته وتطبيقه العملي تدلُّ بصورة لا تقبل الشك علىٰ أنه لم يكن يؤمن بالشورىٰ، ولمْ يبنِ ممارساته الفعلية علىٰ أساسها، والشيء نفسه نجده في سائر قطاعات ذلك الجيل الذي عاصرَ وفاة الرسول الأعظم (صلّىٰ الله عليه وآله) من المسلمين (٢٩).

ونلاحظ بهذا الصدد للتأكد من ذلك، أنَّ أبا بكر ـ حينما اشتدت به العلة ـ عهد الى عمر بن الخطاب، فأمر عثمانَ أن يكتب عهدَه، وكتبَ «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد به أبو بكر خليفة رسول الله، الى المؤمنين والمسلمين: سلام عليكم فإني أحمد الله اليكم.

أما بعد: فإني قد استعملتُ عليكم عمرَ بن الخطاب، فاسمعوا وأطيعوا» (٣٠) ودخل عليه عبدالرحمن بن عوف فقال: كيف أصبحتَ يا خليفة رسول الله؟ فقال: أصبحت مولياً، وقد زدتموني علىٰ ما بي، إذ رأيتموني استعملتُ رجلاً منكم، فكلكم قد أصبح وَرِماً أنفُه، وكلٌّ يطلبها لنفسه ...» (٣١).

---

(٢٩) لاحظ ما جرىٰ يوم السقيفة من نقاش وحجاج، إذ لم يرد للشورىٰ ذكر ولا اسم بل الذي جرىٰ علىٰ خلافها، ومنها إطروحة منا أمير ومنكم أمير، وكيف رفض أبوبكر ومن بعده عمر بن الخطاب هذه الفكرة، ثم كيف بادر عمر بن الخطاب الى حسم الموقف بأن أخذ يد أبي بكر، وقال: «ابسط يدك لأُبايعك... ».

راجع نصوص السقيفة في؛ تاريخ الطبري / ج٢ /ص٢٣٤ وما بعدها، وفي ص٢٠٣ طبعة دارالتراث، وراجع شرح النهج /لابن أبي الحديد /ج٦ /ص٦ـ٩. تحقيق أبوالفضل ابراهيم.

(٣٠) راجع: مختصر تاريخ دمشق /ابن منظور /ج١٨ / ص ٣١٠، تاريخ الطبري / ج ٢ / ص ٣٥٢.

(٣١) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ /ص١٢٦، طبعة النجف الحيدرية، (الشهيد) وراجع مختصر تاريخ⇐

وواضح من هذا الاستخلاف ، وهذا الاستنكار للمعارضة ، أنَّ الخليفة لم يكن يفكر بعقلية نظام الشورىٰ ، وأنه كان يرى من حقه تعيين الخليفة ، و أنَّ هذا التعيين يفرض علىٰ المسلمين الطاعة ، ولهذا أمرهم بالسمع والطاعة [٣٢] ، فليس هو مجرد ترشيح أو تنبيه ، بل هو إلزامٌ ونصبٌ.

ونلاحظ أيضاً أنَّ عمر رأىٰ هو الآخر ، أيضاً ، أنّ من حقه فرض الخليفة علىٰ المسلمين ، ففرضه في نطاق ستة أشخاص ، وأوكل أمرَ التعيين إلى الستة أنفسهم دون أن يجعلَ لسائر المسلمين أيَّ دور حقيقي في الانتخاب [٣٣] ، وهذا يعني أيضاً ، أن عقلية نظام الشورىٰ لم تتمثل في طريقة الاستخلاف التي انتهجها عمر ، كما لم تتمثل ، من

⇐ ابن عساكر /ج١٨ /ص٣١٠، وتاريخ الطبري /ج٤ /ص٥٢ /ط١ /الحسينية المصرية .

(٣٢) راجع مختصر تاريخ ابن عساكر /ج ١٨ /ص٣١٢ : عن قيس بن أبي حازم، قال: خرج علينا عمر ومعه شديد مولى أبي بكر ومعه جريدة ... فقال: أيها الناس اسمعوا قول خليفة رسول الله، إني قد رضيتُ لكم عمر، فبايعوه، وفي رواية: اسمعو وأُطيعوا لمن في هذه الصحيفة.

(٣٣) قال عمر لصهيب: صلّ بالناس ثلاثة أيام، وأدخل عليّاً وعثمان والزبير وسعداً وعبدالرحمن بن عوف وطلحة، إن قَدِمَ، وأحضر عبدالله بن عمر ولا شيء له من الأُمر وقم علىٰ رؤوسهم، فإن اجتمع خمسةٌ ورضوا رجلاً وأبي واحد فاشدخ رأسه، أو اضرب رأسه بالسيف، و إن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبي اثنان فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً منهم فحكموا عبدالله بن عمر، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عمّا اجتمع عليه الناس... ». راجع: تاريخ الطبري /ج ٢ /ص ٥٨١ ، الكامل في التاريخ /ابن أثير /ج٣ /ص٦٧ /طبعة دار صادر ، وهذا النصّ غنيّ عن التعليق.

قبلُ ، في الطريقة التي سلكها الخليفة الأول.

وقد قال عمر ـ حين طلب منه الناسُ الاستخلاف ـ: «لو أدركني أحد رجلين فجعلتُ هذا الأمر اليه لوَثِقتُ به: سالم مولىٰ أبي حذيفة، وأبي عبيدة بن الجراح، ولو كان سالمٌ حيّاً ما جعلتها شورىٰ...»(٣٤).

وقد قال أبو بكر لعبدالرحمن بن عوف، وهو يناجيه على فراش الموت: «وددتُ أني كنت سألت رسولَ الله (صلّىٰ الله عليه وآله) لمن هذا الأمر، فلا ينازعه أحدٌ...»(٣٥) وحينما تجمع الأنصار في السقيفة لتأمير سعد بن عبادة، قال منهم قائل: «إنْ أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون، ونحن عشيرتُه وأولياؤه، فقالت طائفة منهم إذن نقول منّا أميرٌ ومنكم أمير، لن نرضىٰ بدون هذا منهم أبداً...»(٣٦).
وحينما خطب أبو بكر فيهم قال:
«كنّا معاشر المسلمين المهاجرين أول الناس اسلاماً، والناس لنا في ذلك تبع، نحن عشيرة رسول الله وأوسط العرب أنساباً...»(٣٧)

وحينما اقترح الأنصار أن تكون الخلافة دورية بين المهاجرين والأنصار ردّ أبو بكر قائلاً: «إنَّ رسول الله لما بُعث عظُم على

---

(٣٤) راجع طبقات ابن سعد /ج ٣ /ص ٣٤٣ ـ طبعة دار صادر ـ بيروت (الشهيد)، وراجع تاريخ الطبري /ج ٢ /ص ٥٨٠. الدار العلمية، الرواية تختلف عن رواية ابن سعد المذكورة.
(٣٥) تاريخ الطبري /ج /٢ص ٣٥٤/ط ٣ ـ طبعة دارالكتب العلمية ـ بيروت/١٤٠٨ هـ (الشهيد).
(٣٦) المصدر السابق /ج ٢ /ص ٢٤٢.
(٣٧) المصدر السابق /ج ٢ /ص ٢٣٥.

العرب أن يتركوا دين آبائهم فخالفوه وشاقوه، وخصَّ الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقهِ ... فهم أول من عبدَ اللهَ في الأرض، وهم أولياؤه وعترته، وأحق الناس بالأمر بعده، لا ينازعهم فيه إلا ظالم ... »[٣٨].

وقال الحباب بن المنذر، وهو يشجع الأنصار علىٰ التماسك: « املكوا عليكم أيديكم إنما الناس في فيئكم وظلكم، فإن أبىٰ هؤلاء فمنّا أميرٌ ومنهم أمير ... »[٣٩] وردّ عليه عمر قائلاً: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد .. من ذا يخاصمنا في سلطان محمد وميراثه، ونحن أولياؤه وعشيرته إلّا مدلٌّ بباطل، أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة »[٤٠].

إنَّ الطريقة التي مارسها الخليفة الأولى والخليفة الثاني

---

(٣٨) المصدر السابق /ج ٢ /ص ٢٤٢ : وقد ردَّ الإمام عليّ عليه السلام مثل هذا الاحتجاج كما في مختصر تاريخ ابن عساكر /ج١٨ /ص٣٨ / ٣٩، وحاصله : انه إذا كان السبق الى الاسلام والإيمان هو الذي يرشح الإنسان للخلافة مع ضرورة كونه أقرب الى رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله)، و أن يكون من أوليائه وعترته، فإنَّ علياً هو الأسبق الى عبادة الله والإيمان برسالة نبيه صلوات الله عليه، بل إنَّ عبادته لله لم تكن مسبوقة بشرك ـ فهو لم يسجد لصنم قط ـ علىٰ خلاف الجميع وأما القرب من رسول الله فهو من عترته وخاصته وهو بالنص الصريح وليّه وأخوه ونفسه ـ وأنه هو وحده الذي يؤدي عنه. راجع مسند الإمام أحمد /ج ٤ /ص ٢٨١ . إذن بمقتضىٰ هذا المنطق يلزم أن يكون هو الأحق لا غيره.

(٣٩) راجع تاريخ الطبري /ج ٢ /ص ٢٤١ وما بعدها ـ حوادث سنة (١١) هجرية.

(٤٠) المصدر السابق /ج ٢ /ص٢٤٣. وراجع شرح نهج البلاغة /لابن أبي الحديد /ج ٦ /ص٦ـ٩ (الشهيد)

للاستخلاف ، وعدم استنكار عامة المسلمين لتلك الطريقة ، والروح التي سادت علىٰ منطق الجناحين المتنافسين من الجيل الطليعي، المهاجرين والأنصار يوم السقيفة ، والاتجاه الواضح الذي بدا لدى المهاجرين نحو تقرير مبدأ انحصار السلطة بهم ، وعدم مشاركة الأنصار في الحكم ، والتأكيد علىٰ المبررات الوراثية التي تجعل من عشيرة النبي أولىٰ العرب بميراثه ، واستعداد كثير من الأنصار لتقبل فكـرة أميرين ، أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين ، واعلان أبي بكر الذي فاز بالخلافة ـ في ذلك اليوم ـ عن أسفه لعدم السؤال من النبي عن صاحب الأمر بعده...[٤١] ،كل ذلك يوضح ، بدرجة لا تقبل الشك ، أن هذا الجيل الطليعي من الأُمة الاسلامية ـ بما فيه القطاع الذي تسلّم الحكم ، بعد وفاة النبي ـ لم يكن يفكر بذهنية الشورىٰ ، ولم يكن يملك فكرة محددة عن هذا النظام ، فكيف يمكن أن نتصور أن النبي ( صلّىٰ الله عليه وآله ) قد مارس عملية توعية علىٰ نظام الشـورىٰ تشـريعياً وفكرياً ، وأعدَّ جيلَ المهاجرين والأنصار لتسلم قيادة الدعوة بعده على أساس هذا النظام ، ثم لا نجد لدىٰ هذا الجيل تطبيقاً واعياً لهذا النظام أو مفهوماً محدداً عنه ؟[٤٢] كما أننا لا يمكن أن نتصور ـ من ناحية اخرىٰ ـ أنَّ الرسول القائد يضع هذا النظام ، ويحدده تشريعياً ومفهومياً ،

---

(٤١) تاريخ الطبري / ج ٢ / ص ٣٥٤ .

(٤٢) إذ حسب الافتراض لو كان هذا النظام قد جرت التوعية عليه كما يقتضيه الشأن دائماً، فلا بدَّ أن نعثرَ في النصوص عند هذا الجيل مفهوماً معيناً، أو تطبيقات معينةٍ، ولكن شيئاً من هذا لم يتم العثور عليه ــ كما نبّه الشهيد الصدر ــ وكما هو الواقع.

ثم لا يقوم بتوعية المسلمين عليه وتثقيفهم به [٤٣].

وهكذا يبرهن ما تقدم علىٰ أنَّ النبي (صلّىٰ الله عليه وآله) لم يكن طرح الشورىٰ كنظام بديلٍ علىٰ الأُمة، إذ ليس من الممكن عادةً أن تُطرح بالدرجة التي تتناسب مع أهميتها، ثم تختفي اختفاءً كاملاً عن الجميع وعن كل الاتجاهات [٤٤].

ومما يوضح هذه الحقيقة بدرجةٍ اكبر أن نلاحظ:

**أولاً**: إنَّ نظام الشورىٰ كان نظاماً جديداً بطبيعته علىٰ تلك البيئة التي لم تكن قد مارست، قبل النبوة، أي نظام مكتمل للحكم [٤٥]. فكان لابدَّ من توعيةٍ مكثفة ومركّزة عليه كما أوضحنا ذلك.

---

(٤٣) لأنَّ التوعية في مثل هذه الموارد قد جرت عليه سيرتُه الشريفة وسنته المباركة، ونجد ذلك في الأُمور التي هي أقل شأناً وأهمية من هذا الأمر في مناسبات وموارد لا تحصىٰ كثرة.

(٤٤) اختفاء تفاصيل فكرة الشورىٰ حتىٰ علىٰ مستوى تحديد معالمها الاساسية كنظام للحكم حقيقة قائمة إذ لم ينقل أن أحداً من المتنازعين سواء في مؤتمر السقيفة أو بعده قد تقدم ولو بنص واحد يتعلق بها من قريب أو بعيد. راجع نصوص السقيفة مثلاً في تاريخ الطبري/ج٢ /ص٢٣٤ وما بعدها.

(٤٥) قضية عدم وجود نظام للحكم في الجزيرة العربية ـ قبل البعثة النبوية وتأسيس دولة الاسلام في المدينة ـ أمر متسالم عليه عند المؤرخين لضرورة عدم وجود دولة أصلاً من جهة، ولخضوع العرب الى أعرافهم وتقاليدهم القبلية، راجع محاضرات في تاريخ العرب/ الدكتور صالح أحمد العلي /ط٢ ـ بغداد؛ وراجع محاضرات في تاريخ العرب الإسلام/الدكتور عبداللطيف الطيباوي/ج ١ /ص ١٢١ ـ دار الأندلس ـ بيروت / ١٩٦٣؛ وراجع تاريخ العرب قبل الإسلام / القسم السياسي / د. جواد عليّ ـ طبعة دار المجمع العلمي العراقي، وراجع تاريخ الإسلام السياسي / الدكتور حسن إبراهيم حسن / ص٥١.

**ثانياً**: إنَّ الشورىٰ ،كفكرةٍ ، مفهوم غائمٌ ، لا يكفي طرحه هكذا ، لإمكان وضعه موضع التنفيذ ، مالم تشرح تفاصيله وموازينه ومقاييس التفضيل عند اختلاف الشورى ، وهل تقوم هذه المقاييس علىٰ أساس العدد والكم ، أو علىٰ أساس الكيف والخبرة؟؟ الى غير ذلك مما يحدد للفكرة معالمها ويجعلها صالحة للتطبيق(٤٦) فورَ وفاة النبي ( صلّىٰ الله عليه وآله ) .

**ثالثاً**: إنّ الشورى تعبّر في الحقيقة عن ممارسة للأمة ـ بشكل أو آخر ـ للسلطة عن طريق التشاور وتقرير مصير الحكم ، فهي مسؤولية تتعلق بعدد كبير من الناس هم كل الذين تشملهم الشورىٰ ، وهذا يعني أنها لو كانت حكماً شرعياً يجب وضعه موضع التنفيذ عقيب وفاة النبى ( صلّىٰ الله عليه وآله ) لكان لا بدَّ من طرحه علىٰ أكبر عدد من اولئك الناس لأنَّ موقفهم من الشورىٰ ايجابي ، وكلّ منهم يتحمل قسطاً من المسؤولية(٤٧) .

وكل هذه النقاط تبرهن علىٰ أن النبي ( صلّىٰ الله عليه وآله ) في حالة تبنّيه لنظام الشورىٰ ،كبديلٍ له بعد وفاته ، يتحتم عليه أن يطرح

---

(٤٦) بلحاظ ضرورة الوضوح بدرجة كافية لحسم مسألة الرئاسة بعد شغور كرسيها تجنباً للمخاطر المتوقعة في حالة عدم وجود معايير محددة في هذا المجال.

(٤٧) أي كما هو الشأن في كل تكليف شرعي ، إذ يقتضي البيان والتفصيل ، وهذا ما كان عليه دأبه صلوات الله وسلامه عليه ، في كل التكاليف الشرعية، قال تعالىٰ : ﴿ ... وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ... ﴾ النحل / ٤٤ ؛ فلو كان حكماً شرعياً إذن ، وواجباً يجب ممارسته ممن عنده الاهلية، لكان يقتضي البيان.

فكرة الشورىٰ علىٰ نطاق واسع ، وبعمق ، وباعداد نفسي عام ، وملءٍ لكل الثغرات ، وابراز لكل التفاصيل التي تجعل الفكرة عملية ، وطرحٌ للفكرة علىٰ هذا المستوىٰ كماً وكيفاً وعمقاً ، لا يمكن أن يمارسه الرسولُ الأعظم ( صلّىٰ الله عليه وآله ) ، ثم تنطمس معالمه لدىٰ جميع المسلمين الذين عاصروه الى حين وفاته صلوات الله عليه.

وقد يفترض أنَّ النبيَّ ( صلّىٰ الله عليه وآله ) كان قد طرح فكرة الشورىٰ بالصورة اللازمة ، وبالحجم الذي يتطلبه الموقف كماً وكيفاً، واستوعبها المسلمون ، غير أن الدوافع السياسية استيقظت فجأةً وحجبت الحقيقة وفرضت علىٰ الناس كتمان ما سمعوه من النبي فيما يتصل بالشورىٰ وأحكامها وتفاصيلها.

غير أنَّ هذا الافتراض ليس عملياً ، لأنَّ تلك الدوافع مهما قيل عنها ، فهي لا تشمل المسلمين الاعتياديين من الصحابة الذين لم يساهموا في الأحداث السياسية عقب وفاة النبي ( صلّىٰ الله عليه وآله )، ولا في بناء هرم السقيفة ، وكان موقفهم موقف المترسل، وهؤلاء يمثلون في كل مجتمع جزءاً كبيراً من الناحية العددية مهما طغىٰ الجانب السياسي عليه (٤٨).

---

(٤٨) أي كما تمت محاولة طمس مبدأ الولاية لعلي (عليه السلام) ومع ذلك فإنَّ النصوص المتعلقة بها لم تختفِ تماماً ولا كلياً، بل وصلت نصوص كثيرة بلغ بعضها حدّ الشهرة والتواتر . راجع مختصر تاريخ ابن عساكر /ابن منظور /ج١٧ /ص٣٥٦ وما بعدها و ج١٨ ص ١ ـ ٥٠ فلوكان هناك بيانات ونصوص عن الشورىٰ كنظام لاستعصت علىٰ الطمس.

فلو كانت الشورىٰ مطروحةً من قبل النبي (صلى الله عليه وآله) بالحجم المطلوب لما اختص الاستماع الى نصوصها بأصحاب تلك الدوافع، بل لسمعها مختلف الناس، ولانعكست بصورة طبيعية عن طريق الاعتياديين من الصحابة كما انعكست فعلاً النصوص النبوية علىٰ فضل الإمام (عليه السلام) ووصايته عن طريق الصحابة أنفسهم، فكيف لم تَحُل الدوافع السياسية دون أن تصل الينا مئات الأحاديث ـ عن طريق الصحابة ـ عن النبي (صلىٰ الله عليه وآله) في فضل علي (عليه السلام) ووصايته ومرجعيته[٤٩]، علىٰ الرغم من تعارض ذلك مع الاتجاه السائد وقتئذٍ، ولم يصلنا شيء ملحوظ من ذلك فيما يتصل بفكرة الشورىٰ؟[٥٠] بل حتىٰ اولئك الذين كانوا يمثلون الاتجاه السائد كانوا في كثير من الأحيان يختلفون في المواقف السياسية، وتكون من مصلحة هذا الفريق أو ذاك أن يرفع شعار الشورىٰ ضد الفريق الآخر،

---

(٤٩) راجع ما نقلناه في الدراسة «الملحق»، وراجع مختصر تاريخ ابن عساكر/لابن منظور / ج١٧ / ص٣٥٤ و ج١٨ / ص١ ـ ٥٠، وراجع حلية الأولياء / لأبي نعيم/ج١/ص٦٦، وراجع الطبقات الكبرى لابن سعد / ج٢ / ص ٣٣٨، وراجع ينابيع المودة للقندوزي / ج١ / ص٦٢ ومابعدها وراجع السنن الكبرىٰ ـ النسائي/ الخصائص ج٥ /ص١٢٨ وما بعدها.

(٥٠) من الملاحظ أن الكتّاب المسلمين الذين بحثوا في مسألة نظام الحكم، أو في مسألة الخلافة، ممن استبعد فكرة النص والتعيين ـ التي توفرت فيها مئات النصوص النبوية ـ واعتمد بدلها فكرة نظام الشورىٰ محتجين بالقرآن في بعض الموارد، لم يعثروا علىٰ نصوص نبوية تسعفهم في تأييد دعواهم، ولذلك اضطروا الى اعتماد سيرة الصحابة، ومع ذلك فإنهم لم يجدوا تفسيراً منطقياً للوضع المتباين والمضطرب الذي كان عليه استخلاف الصحابة. راجع النظريات السياسية الإسلامية / الدكتور الريس، وراجع السقيفة والخلافة لعبد الفتاح عبدالمقصود.

ومع ذلك لم نعهد أنَّ فريقاً منهم استعمل هذا الشعار كحكم سمعه من النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) ، فلاحظوا ـ علىٰ سبيل المثال ـ موقف طلحة من تعيين أبي بكر لعمر ، واستنكاره لذلك ، وإعلانه السخط علىٰ هذا التعيين [٥١] ، فإنه لم يُفكر ـ علىٰ رغم ذلك ـ أن يلعب ضد هذا التعيين بورقة الشورىٰ ، ويشجب موقف أبي بكر ، بأنه يخالف ما هو المسموع من النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) عن الشورىٰ والانتخاب .

**النقطة الثانية :**

إنَّ النبي لو كان قد قررَ أن يجعل من الجيل الاسلامي الرائد ، الذي يضمّ المهاجرين والأنصارَ من صحابته قيّما علىٰ الدعوة بعده ، ومسؤولاً عن مواصلة عملية التغيير ، فهذا يحتمّ علىٰ الرسول القائد (صلىٰ الله عليه وآله ) أنْ يعبيءَ هذا الجيل تعبئةً رساليةً وفكرية واسعة ، يستطيع أن يمسك بالنظرية بعمق ويمارس التطبيق في ضوئها بوعي ، ويضع للمشاكل التي تواجهها الدعوة باستمرار حلولها النابعة من الرسالة ، خصوصاً إذا لاحظنا أنَّ النبي (صلىٰ الله عليه وآله) كان ـ وهو الذي بشّرَ بسقوط كسرىٰ وقيصر [٥٢] ـ يعلمُ بأَنَّ الدعوةَ مقبلةٌ على فتوح عظيمة ، وأنَّ الأُمةَ الإسلامية سوف تضمّ إليها في غدٍ قريبٍ شعوباً جديدة ومساحةً كبيرة ، وتواجه مسؤولية توعيةِ تلك الشعوب على

---

(٥١) راجع مختصر تاريخ ابن عساكر / ابن منظور / ج ١٨ / ص ٢٣٠ الرواية عن الشعبي وكان مع طلحة والزبير وسعيد وعبدالرحمن .

(٥٢) راجع تاريخ الطبري / ج ٢ / ص ٩٢ / ط١ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت / حديث النبي عند حفر الخندق .

الإسلام ، وتحصين الأُمة من أخطار هذا الانفتاح ، وتطبيق أحكام الشريعة علىٰ الأرض المفتوحة وعلىٰ أهل الأرض ، وبالرغم من أنَّ الجيل الرائد من المسلمين كان أنظف الأجيال التي توارثت الدعوة وأكثرها استعداداً للتضحية ، بالرغم من كل ذلك ، لا نجد فيه ملامح ذلك الإعداد الخاص للقيمومة علىٰ الدعوة ، والتثقيف الواسع العميق على مفاهيمها ؛ والأرقام التي تبرر هذا النفي كثيرة لا يمكن استيعابها في هذا المجال. ويمكننا أن نلاحظ بهذا الصدد ، أنَّ مجموع ما نقله الصحابة من نصوص عن النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) في مجال التشريع لا يتجاوز بضع مئات من الأحاديث[٥٣] ، بينما كان عدد الصحابة يناهز اثني عشر ألفاً علىٰ ما أحصته كتب التاريخ[٥٤] . وكان النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) يعيش مع آلاف من هؤلاء في بلدٍ واحدٍ ومسجدٍ واحدٍ ، صباحاً ومساءً ، فهل يمكن أن نجدَ في هذه الأرقام ملامح الإعداد الخاص ؟!

والمعروف عن الصحابة أنهم كانوا يتحاشون من ابتداء النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) بالسؤال حتىٰ أنَّ أحدهم كان ينتظر فرصة مجيء

---

(٥٣) راجع سنن أبي داود / لاختصاصه بأحاديث الأُحكام، والموطأ / للامام مالك / مجموع أحاديثه ( ١٥٧٠ ) بعضها مراسيل .

(٥٤) ما أحصاه ابن حجر في ( الإصابة في تمييز الصحابة ) في أربع مجلدات /بلغ عدد التراجم ( ١٢٢٦٧ ). راجع بحوث في تاريخ السنة المشرفة /الدكتور أكرم ضياء العمري /هامش ص ٧١/ ط٣ مؤسسة الرسالة ـ بيروت / ١٩٧٥ ، وراجع علوم الحديث ومصطلحه الدكتور صبحي الصالح / ص ٣٥٤ ، فقد نقل عن أبي زرعة ان رسول الله ( صلىٰ الله عليه وآله ) قبض عن ( ١١٤٠٠٠ ) مائة الف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة.

أعرابي من خارج المدينة يسأل ليسمع الجواب[٥٥]، وكانوا يرون أنَّ من الترف الذي يجب الترفع عنه السؤال عن حكم قضايا لم تقع بعد. ومن أجل ذلك قال عمر علىٰ المنبر: «احرج بالله علىٰ رجلٍ سأل عمّا لم يكن، فإنَّ الله قد بيّن ما هو كائن...»[٥٦] وقال: «لا يحلُّ لأحدٍ أن يسأل عمّا لم يكن. إنَّ الله قد قضى فيما هو كائن...»[٥٧] وجاء رجلٌ يوماً الىٰ ابن عمر يسأله عن شيء، فقال له ابن عمر: «لا تسأل عمّا لم يكن، فإني سمعتُ عمر بن الخطاب يلعن من سأل عمّا لم يكن...»[٥٨]، وسأل رجلٌ أبيّ بن كعب عن مسألة، قال: «يا بُنيّ أكان الذي سألتني عنه؟ قال: لا، قال: أما لا، فأجلني حتىٰ يكون»[٥٩].

«وقرأ عمر يوماً القرآن، فانتهى الى قوله تعالىٰ: **﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَآئِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً﴾**[٦٠]، فقال كل هذا عرفناه، فما الأب؟ ثم قال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأب، اتبعوا ما بين لكم هداه من

---

(٥٥) راجع خطبة الإمام عليّ (عليه السلام) رقم ٢١٠ / ص٣٢٧ نهج البلاغة / الدكتور صبحي الصالح. قال: «وليس كل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من كان يسأله ويستفهمه، حتىٰ إن كانوا ليُحبون أن يجيء الأعرابي والطارئ فيسأله صلوات الله عليه حتىٰ يسمعوا، وكان لا يمرُّ بي من ذلك شيء إلا سألته وحفظته...».

(٥٦) سنن الدارمي / ج١ / ص٥٠ / نشر دار إحياء السنة النبوية.

(٥٧) المصدر السابق / ج١ / ص٥٠ (الشهيد).

(٥٨) المصدر السابق / ج١ / ص٥٠ (الشهيد).

(٥٩) المصدر السابق / ج ١ / ص ٥٦ (الشهيد).

(٦٠) سورة عَبس / آية ٢٧ ـ ٣١.

الكتاب فاعملوا به ، وما لم تعرفوه فكِلوه الى ربّه ... »[٦١].

وهكذا نلاحظ اتجاهاً لدىٰ الصحابة الى العزوف عن السؤال إلا في حدود المشاكل المحددة الواقعة. وهذا الاتجاه هو الذي أدّىٰ الى ضآلة عدد النصوص التشريعية التي نقلوها عن الرسول ( صلىٰ الله عليه آله ) ، وهو الذي أدّى ـ بعد ذلك ـ الى الاحتياج الى مصادر أُخرىٰ غير الكتاب والسنة ، كالاستحسان والقياس وغيرهما من ألوان الاجتهاد التي يتمثل فيها العنصر الذاتي للمجتهد[٦٢] ، الأمر الذي أدّىٰ الى تسرّب شخصية الإنسان بذوقه وتصوراته الخاصة الى التشريع ... وهذا الاتجاه أبعد ما يكون عن عملية الإعداد الرسالي الخاص التي كانت تتطلب تثقيفاً واسعاً لذلك الجيل وتوعية له علىٰ حلول الشريعة للمشاكل التي سوف يواجهها عِبَر قيادته.

وكما أمسك الصحابة عن مبادرة النبي بالسؤال ، كذلك أمسكوا عن تدوين آثار الرسول الأعظم ( صلىٰ الله عليه وآله ) وسنته[٦٣] علىٰ

---

(٦١) الاتقان في علوم القرآن / السيوطي / ج ٢ / ص ٤ ـ تحقيق أبو الفضل ابراهيم.

(٦٢) انكر الاجتهادُ الشافعيُّ نظريتي الاستحسان والمصالح المرسلة، لأن الشريعة قد تكفلت ببيان كل ما يحتاج الأنسان الى معرفته من الأُحكام، إما بالنص الصريح، أو بالاشارة، أو بطريق القياس المشروع ، ولأن الاستحسان لا ضابط له ولا مقاييس يقاس بها الحق من الباطل، .. ولذا أُثِرَ عن الشافعي قوله: «من استحسن فقد شرّع ...».

راجع المدخل الفقهي العام / الدكتور مصطفى الزرقا / ج ١ / ص ١٢٤ / ١٢٥.

(٦٣) راجع في مسألة تدوين الحديث، والمنع منه أو إجازته فيما بعد ما أورده ونقله الدكتور صبحي الصالح / ص ٢٠ وما بعدها في الهامش / علوم الحديث ومصطلحه ـ طبعة دار ←

رغم أنها المصدر الثاني من مصادر الإسلام ، وأنّ التدوين كان هو الاسلوب الوحيد للحفاظ عليها وصيانتها من الضياع والتحريف ، فقد أخرج الهروي في ذمّ الكلام عن طريق يحيىٰ بن سعد عن عبدالله بن دينار قال: لم يكن الصحابة ، ولا التابعون ، يكتبون الأحاديث ، وإنما كانوا يؤدونها لفظاً ويأخذونها حفظاً[٦٤]. بل إنَّ الخليفة الثاني ـ علىٰ ما في طبقات ابن سعد ـ ظلَّ يفكر في الموقف الأفضل تجاه سنة الرسول، واستمر به التفكير شهراً ثم أعلن منعه عن تسجيل شيء من ذلك[٦٥]. وبقيت سنة الرسول الأعظم التي هي أهم مصدر للإسلام بعد الكتاب الكريم ، في ذمة القدر يتحكم فيها النسيان تارةً ، والتحريف أُخرىٰ، وموت الحفاظ ثالثةً ، طيلةَ مائة وخمسين سنةً تقريباً[٦٦].

ويستثنىٰ من ذلك اتجاه أهل البيت ، فإنهم دأبوا علىٰ التسجيل والتدوين منذ العصر الأول ، وقد استفاضت رواياتنا عن أئمة أهل البيت بأنَّ عندهم كِتاباً ضخماً مدوناً بإملاء رسول الله ( صلىٰ الله عليه

⇐ العلم للملايين .

(٦٤) راجع المصدر السابق، وراجع : سنن الدارمي /ج ١ / ص ١١٩ / باب من لم يرَ كتابة الحديث .

(٦٥) الطبقات الكبرىٰ / ابن سعد /ج ٣ / ص ٢٨٧ ـ طبعة دار بيروت / ١٤٠٥.

(٦٦) كان أول تدوين رسمي للسنة علىٰ يد محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ( ت ١٢٤ هـ ) ، بأمر من عمر بن عبد العزيز ونقل عنه قوله : «لم يدون هذا العلم أحدٌ قبل تدويني ...» . وكان ذلك بداية المائة الثانية من الهجرة ، راجع علوم الحديث ومصطلحه /الدكتور صبحي الصالح /ص ٤٦ .

وآله ) وخط عليّ بن أبي طالب ( عليه السلام )[٦٧] فيه جميع سنن رسول الله ( صلىٰ الله عليه وآله ).

فهل ترىٰ بربّك أنَّ ذلك الاتجاه الساذج ـ إن كانت المسألة مسألة سذاجة ـ الذي ينفر من السؤال عن واقعة قبل حدوثها ويرفض تسجيل سنن النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) بعد صدورها كفوْاً لزعامة الرسالة الجديدة وقيادتها في أهم وأصعب مراحل مسيرتها الطويلة ؟؟! أو هل ترىٰ بربّك أن الرسول الأعظم ( صلىٰ الله عليه وآله ) كان يترك سنته مبعثرة بدون ضبط وتسجيل مع أنه يأمر بالتمسك بها؟[٦٨] أو لم يكن من الضروري إذا كان يمهدّ لفكرة الشورىٰ حقاً أن يحدد للشورىٰ دستورها ويضبط سنته لكي تسير الشورىٰ علىٰ منهاج ثابت محدد لا تتلاعب به الأهواء ؟[٦٩]

أوليس التفسير الوحيد المعقول لهذا الموقف من النبي أنه كان قد أعدَّ الإمام عليّاً للمرجعية وزعامة التجربة بعده ، وأودعه سنَّتَه

---

(٦٧) أصول الكافي /ج ١ /ص ٢٤١ / ٢٤٢ ، باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة... / نشر دار الكتب الإسلامية / طهران ١٣٨٨ هـ.

(٦٨) كما في حديث الثقلين : «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ...».
وقد مرَّ تخريجه ، راجع مثلاً صحيح مسلم /ج ٤ /ص ١٨٧٤ ، وراجع الأُصول العامة / محمد تقي الحكيم / بحث السنة.

(٦٩) أشرنا إلى مسألة الاضطراب في قضية الشورىٰ واختلاف معاييرها ومعالمها من خلافة الى اخرى في الهامش رقم( ٥٠ ) وراجع : السقيفة والخلافة /عبدالفتاح عبدالمقصود / ص ٢٦٤.

كاملةً، وعلمه ألف باب من العلم[٧٠].

وقد أثبتت الأحداث ـ بعد وفاة النبي (صلىٰ الله عليه وآله) أنَّ جيل المهاجرين والأنصار، لم يكن يملك أيَّ تعليمات محددة عن كثير من المشاكل الكبيرة، التي كان من المفروض أن تواجهها الدعوة بعد النبي، حتىٰ أنَّ المساحة الهائلة من الأرض، التي أمتدَّ اليها الفتح الإسلامي، لم يكن لدىٰ الخليفة والوسط الذي يسنده، أي تصور محدد عن حكمها الشرعي، وعمّا إذا كانت تقسّم بين المقاتلين أو تجعل وقفاً علىٰ المسلمين عموماً[٧١]، فهل يمكننا أن نتصور أنَّ النبي يؤكد للمسلمين أنهم سوف يفتحون أرض كسرى وقيصر[٧٢]، ويجعل من جيل المهاجرين والأنصار القيّم علىٰ الدعوة، والمسؤول عن هذا الفتح، ثم لا يخبره بالحكم الشرعي الذي يجب أن يطبقه علىٰ تلك المساحة الهائلة من الدنيا التي سوف يمتد اليها الإسلام؟

بل إننا نلاحظ أكثر من ذلك أن الجيل المعاصر للرسول (صلّىٰ الله عليه وآله) لم يكن يملك تصورات واضحة محددة حتى في مجال القضايا الدينية التي كان النبي (صلىٰ الله عليه وآله) يمارسها مئات المرات، وعلىٰ مرأىٰ ومسمع من الصحابة. ونذكر علىٰ سبيل المثال

---

(٧٠) راجع الإرشاد / الشيخ المفيد / ص٢٢، ينابيع المودة / القندوزي / ج ١ / ص٦٢ وراجع الملحق الذي كتبناه: «الإعداد الفكري والتربوي لإمامة علي..».

(٧١) راجع احكام القرآن / ابن عربي / ج ٤ / ص ١٧٧٨ / سورة الحشر، وراجع: فتوح البلدان / البلاذري / ص ٢٦٨.

(٧٢) تاريخ الطبري / ج ٢ / ص ٩٢ في البشارة بفتح أرض كسرى وقيصر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

لذلك ؛ الصلاة علىٰ الميت ، فإنها عبادة كان النبي ( صلى الله عليه وآله ) قد مارسها علانيةً مئات المرات ، وأداها في مشهد عام من المشيعين والمصلين ، وبالرغم من ذلك يبدو أن الصحابة كانوا لا يجدون ضرورة معرفة هذه العبادة مادام النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) يؤديها ، وما داموا يتابعون فيها النبي ، فصلاً بعد فصل. ولهذا وقع الاختلاف بينهم بعد وفاة النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) في عدد التكبيرات في صلاة الميّت، « فقد أخرج الطحاوي عن إبراهيم قال : قُبض رسول الله ، والناس مختلفون في التكبير علىٰ الجنازة لا تشاء أن تسمعَ رجلاً يقول سمعتُ رسول الله يكبر خمساً ، وآخرَ يقول سمعت رسولَ الله يكبّر أربعاً ، فاختلفوا في ذلك حتىٰ قبض أبو بكر ، فلما ولي عمر ، ورأىٰ اختلاف الناس في ذلك ، شق عليه جداً ، فأرسل الى رجال من أصحاب رسول الله فقال : « إنكم معاشر أصحابِ رسول الله متىٰ تختلفون علىٰ الناس يختلفون من بعدكم ، ومتى تجتمعون علىٰ أمر يجتمع الناس عليه ، فانظروا ما تجتمعون عليه ، فكأنما أيقظهم ، فقالوا : نِعْمَ ما رأيت يا أمير المؤمنين »[٧٣] . وهكذا نجد أنَّ الصحابة كانوا في حياة النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) يتّكلون غالباً علىٰ شخص النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) ، ولا يشعرون بضرورة الاستيعاب المباشر للأحكام والمفاهيم ماداموا في كنف النبي ( صلىٰ الله عليه وآله )[٧٤] .

---

(٧٣) راجع : عمدة القارئ شرح صحيح البخاري / ج ٨ / ص ١٣٧ باب التكبير علىٰ الجنازة طبعة دار إحياء التراث / بيروت ( الشهيد ) .

(٧٤) راجع : تمهيد لتاريخ الفلسفة / د . مصطفىٰ عبد الرزاق / ص ٢٧٢.

وقد تقول إنَّ هذه الصورة التي عُرضت عن الصحابة، وما فيها من أرقام علىٰ عدم كفايتهم للقيادة يتعارض مع ما نؤمن به جميعاً من أنَّ التربية النبوية أحرزت درجةً هائلة من النجاح، وحققت جيلاً رسالياً رائعاً!.

والجواب: إنّا بما قدمناه قد حددنا الصورة الواقعية لذلك الجيل الواسع الذي عاصر وفاة النبي (صلىٰ الله عليه وآله) دون أن نجدَ في ذلك ما يتعارض مع التقييم الإيجابي بدرجة عالية للتربية النبوية التي مارسها الرسول (صلىٰ الله عليه وآله) في حياته الشريفة، لأننا في نفس الوقت الذي نؤمن فيه بأنَّ التربية النبوية كانت مثلاً ربانيّاً رائعاً وبعثاً رسالياً متميزاً في تاريخ العمل النبوي علىٰ مرِّ الزمن نجدُ أنَّ الإيمان بذلك والوصول الىٰ تقييم حقيقي لمحصول هذه التربية ونتائجها، لا يقوم علىٰ أساس ملاحظة النتائج بصورة منفصلةٍ عن ظروف التربية وملابساتها، ولا علىٰ اساس ملاحظة الكم، بصورة منفصلة عن الكيف. ومن أجل توضيح ذلك خذ هذا المثال، نفترض مدرساً يدرّس عدداً من طلبة اللغة الانكليزية وآدابها، ونريد أن نقيّم قدرته التدريسية فإننا لا نكتفي بمجرد دراسة مدىٰ وما وصل إليه هؤلاء الطلبة من ثقافة واطلاع علىٰ اللغة الانكليزية وآدابها، وإنما نربط ذلك بتحديد الزمن الذي مارس فيه المدرس تدريسه لهؤلاء الطلبة، وبتحديد الوضع القَبْلِي لهم، ودرجة قربهم أو بعدهم مسبقاً عن أجواء اللغة الانكليزية وآدابها، وحجم الصعاب والعقبات الاستثنائية التي واجهت عملية التدريس، وأعاقت سيره الطبيعي، والهدف الذي كان المدرس يتوخاه من تدريس

طلبته آداب تلك اللغة، ونسبة المحصول النهائي لعملية التدريس الى حالات تدريس اخرىٰ مختلفة(٧٥).

ففي مجال تقييم التربية النبوية يجب أن نأخذ بعين الاعتبار:

**أولاً**: قصر الفترة الزمنية التي مارس النبي (صلىٰ الله عليه وآله) فيها تربيته، لأنها لا تتجاوز تقريباً عقدين من الزمن بالنسبة إلىٰ أقدم صحبة من القلائل الذين رافقوه في بدايات الطريق، ولا تتجاوز عقداً واحداً من الزمن بالنسبة الى الكثرة الكاثرة من الأنصار، ولا تتجاوز ثلاث سنوات أو أربع بالنسبة الى الأعداد الهائلة التي دخلت الإسلام، ابتداءً منذ صلح الحديبية، واستمراراً الى حين فتح مكة.

**ثانياً**: الوضع المسبق الذي كان هؤلاء يعيشونه من الناحية الفكرية والروحية والدينية والسلوكية قبل أن يبدأ النبي (صلىٰ الله عليه وآله) بممارسة دوره، وما كانوا عليه من سذاجة وفراغ وعفوية في مختلف مجالات حياتهم، ولا أجدني بحاجة الى توضيح إضافي لهذه النقطة، لأنها واضحة بذاتها حيث إنَّ الإسلام لم يكن عملية تغيير في سطح المجتمع، بل هو عملية تغيير في الجذور، وبناء انقلابي لأمةٍ جديدةٍ، وهذا يعني الفاصل المعنوي الهائل بين الوضع الجديد الذي بدأ النبي (صلىٰ الله عليه وآله) تربيته للأمة في اتجاهه، وبين الوضع

---

(٧٥) التفاتة رائعة من الشهيد (رض) الى المعايير الدقيقة في عملية تقويم العمل التربوي ومحصوله النهائي. وهذه المعايير والملاحظات يمكن الإفادة منها في أية عملية إعداد فكري أو تربوي. وكذلك في أي عملية تقييم موضوعي لحالة مشابهة.

السابق[٧٦].

**ثالثاً**: ما زخرت به تلك الفترة من أحداث وألوان الصراع السياسي والعسكري علىٰ جبهات متعددة، الأمر الذي ميّز طبيعة العلاقة بين الرسول الأعظم وصحابته من نوع العلاقة بين شخص كالسيد المسيح وتلامذته، فلم تكن علاقة مدرس ومربٍّ متفرغ لإعداد تلامذته، وإنما هي العلاقة التي تتناسب مع موقع الرسول كمربٍ وقائد حربٍ ورئيس دولة[٧٧].

**رابعاً**: ما واجهته الجماعة المسلمة نتيجة احتكاكها بأهل الكتاب، وبثقافات دينية متنوعة من خلال صراعها العقائدي الاجتماعي فقد كان هذا الاحتكاك وما يطرحه علىٰ الساحة خصوم الدعوة الجديدة المثقفين بثقافات دينية سابقة، مصدر قلقٍ وإثارة مستمرة. وكلنا نعرف أنه شكل بعد ذلك تياراً فكرياً إسرائيلياً تسربَ بصورة عفوية، أو بسوء نيّةٍ الى كثيرٍ من مجالات التفكير[٧٨]، ونظرة فاحصةٍ في القرآن الكريم تكفي لاكتشاف حجم المحتوى لفكر الثورة

---

(٧٦) راجع ما كان عليه المجتمع العربي والحجازي قبل الإسلام: تاريخ العرب قبل الاسلام /الدكتور جواد عليّ / القسم الديني، القسم الاجتماعي.

(٧٧) إن تنوع المسؤوليات وطبيعتها، والتحديات التي واجهت الرسول القائد كانت من الضخامة بحيث لم يتهيأ للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الوقت الكافي ليشمل بتربيته وتثقيفه القطاعات الواسعة من الأُمة. راجع علوم القرآن / محمد باقر الحكيم / ص٩٦ ـ ١٠٠

(٧٨) راجع: الإسرائيليات في التفسير والحديث / الدكتور محمد حسين الذهبي / دار الإيمان دمشق / ١٩٨٥.

المضادة، ومدى اهتمام الوحي برصدها ومناقشة أفكارها[٧٩].

**خامساً**: إنّ الهدف الذي كان يسعىٰ المربي الأعظم (صلىٰ الله عليه وآله) لتحقيقه علىٰ المستوىٰ العام، وفي تلك المرحلة هو إيجاد القاعدة الشعبية الصالحة، التي يمكن لزعامة الرسالة الجديدة ـ في حياته أو بعد وفاته ـ أن تتفاعل معها، وتواصل عن طريقها التجربة، ولم يكن الهدف المرحلي وقتئذٍ، تصعيد الأُمة الى مستوى هذه الزعامة نفسها، بما تتطلبه من فهم كامل للرسالة، وتفقهٍ شامل على أحكامها، والتحام مطلق مع مفاهيمها. وتحديد الهدف في تلك المرحلة، بالدرجة التي ذكرناها كان أمراً منطقياً تفرضه طبيعة العمل التغييري، إذ ليس من المعقول أن يرسم الهدف إلا وفقاً لممكنات عملية، ولا إمكان عملي في حالةٍ كالحالة التي واجهها الإسلام إلا ضمن الحدود التي ذكرناها، لأن الفاصل المعنوي والروحي والفكري والاجتماعي بين الرسالة الجديدة وبين الواقع الفاسد القائم، وقتئذٍ، كان لا يسمح بالارتفاع بالناس إلى مستوى زعامة هذه الرسالة مباشرة.

وهذا ما سنشرحه في النقطة التالية[٨٠]، ونبرهن عن طريقه على أنَّ استمرار الوصاية علىٰ التجربة الانقلابية الجديدة، متمثلةً في إمامة

---

(٧٩) لاحظ سورة (المنافقون) في القرآن الكريم. ولاحظ حركة وتحركات اليهود والأدوار التي لعبوها في التاريخ الإسلامي، راجع: الإسرائيليات في القرآن / محمد جواد مغنية ـ طبعة بيروت.

(٨٠) أي في الفصل القادم «الطريق الثالث».

أهل البيت وخلافة عليّ (عليه السلام) ، كانت أمراً ضرورياً يفرضه منطق العمل التغييري علىٰ مسار التاريخ.

**سادساً**: إنّ جزءاً كبيراً من الأُمة التي تركها النبي (صلىٰ الله عليه وآله) بوفاته كان يمثل مسلمة الفتح ، أي المسلمين الذين دخلوا الإسلام بعد فتح مكة[٨١] ، وبعد ان أصبحت الرسالة الجديدة سيدة الموقف في الجزيرة العربية سياسياً وعسكرياً . وهؤلاء لم يتح للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أن يتفاعل معهم في الفترة القصيرة التي أعقبت الفتح إلا بقدر ضيئل ، وكان جلّ تفاعله معهم ، بوصفه حاكماً ، بحكم المرحلة التي كانت الدولة الإسلامية تمرُّ بها ، وفي هذه المرحلة برزت فكرة المؤلفة قلوبهم ، والتي أخذت موضعها في تشريع الزكاة[٨٢] ، وفي اجراءات اخرىٰ ، ولم يكن هذا الجزء من الأُمة مفصولاً عن الأجزاء الأخرىٰ بل كان مندمجاً فيها ، ومؤثراً ، ومتأثراً في نفس الوقت.

ففي إطار هذه الأمور الستة نجد أن التربية النبوية أنتجت إنتاجاً عظيماً ، وحققت تحولاً فريداً ، وأنشأت جيلاً صالحاً مؤهلاً لما استهدفه النبي من تكوين قاعدة شعبية صالحة للالتفاف حول الزعامة القائدة للتجربة الجديدة و إسنادها ، ولهذا نجد أنَّ ذلك الجيل كان يؤدي دوره كقاعدة شعبية صالحة مادامت الزعامة القائدة الرشيدة كانت قائمة في شخص النبي ، ولو قدر لهذا الزعامة أن تأخذ مسارها الرباني لظلت

---

(٨١) راجع تفسير الكشاف / الزمخشري / ج ٤ / ص ٨١٠ / تفسير سورة النصر.

(٨٢) كما جاء في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ... ﴾ التوبة/٦٠.

القاعدة تؤدي دورها الصالح، غير أنَّ هذا لا يعني ـ بحال من الأحوال ـ أنها مهيأة فعلاً لكي تتسلم هذه الزعامة، وتقود بنفسها التجربة الجديدة، لأنَّ هذه التهيئة تتطلب درجة أكبر من الانصهار الروحي والإيماني بالرسالة، وإحاطة أوسع كثيراً بأحكامها ومفاهيمها ووجهات نظرها المختلفة عن الحياة، وتطهيراً أشمل لصفوفها من المنافقين والمندسين والمؤلفة قلوبهم، الذين كانوا لا يزالون يشكلون جزءاً من ذلك الجيل له أهميته العددية[٨٣]، ومواقعه التاريخية، كما أنَّ له آثاره السلبية، بدليل حجم ما تحدث به القرآن الكريم عن المنافقين ومكائدهم ومواقفهم[٨٤]، مع تواجد أفراد في ذلك الجيل قد استطاعت التجربة أن تبنيهم بناءً رسالياً رفيعاً، وتصهرهم في بوتقتها، كسلمان وأبي ذرٍّ وعمار وغيرهم[٨٥].

أقول: انّ تواجد هؤلاء الأفراد ضمن ذلك الجيل الواسع لا يبرهن علىٰ أنَّ ذلك الجيل ككل بلغ الى الدرجة التي تبرر إسناد مهام التجربة اليه علىٰ أساس الشورىٰ. وحتىٰ اولئك الأفراد الذين مثلوا النمط الرفيع رسالياً من ذلك الجيل لا يوجد في أكثرهم ما يبرر افتراض كفايتهم الرسالية لزعامة التجربة من الناحية الفكرية والثقافية

---

(٨٣) يظهر أنهم من الكثرة بحيث شكلوا عبئاً علىٰ الموارد المالية للدولة، مما دفع الخليفة الثاني الى إلغائها بحجة أنَّ الإسلام صارَ عزيزاً قوياً.

(٨٤) راجع تفسير سورة (المنافقون) في كتب التفاسير.

(٨٥) قال رسول الله: «إنّ الله أمرني بحبّ أربعةٍ وأخبرني أنه يحبهم: عليّ وأبو ذر والمقداد وسلمان» سنن ابن ماجة / ج ١ / ص ٦٦، وراجع التاج الجامع للأصول / ج ٣ / ص ٤٠٥.

علىٰ رغم شدة إخلاصهم، وعمق ولائهم ، لأن الإسلام ليس نظرية بشرية لكي يتحدد فكرياً من خلال الممارسة والتطبيق[٨٦] ، وتتبلور مفاهيمه عبرَ التجربة المخلصة، وإنما هو رسالة الله التي حددت فيها الأحكام والمفاهيم وزودت ربانيّاً بكل التشريعات العامة التي تتطلبها التجربة[٨٧] ، فلا بدَّ لزعامة هذه التجربة من استيعاب الرسالة بحدودها وتفاصيلها ، ومن وعي بكل أحكامها ومفاهيمها[٨٨] ، وإلا اضطرت الى استلهام مسبقاتها الذهنية ومرتكزاتها القَبلية ، وأدّىٰ ذلك الى نكسة في مسيرة التجربة ، وبخاصة إذا لاحظنا أن الإسلام كان هو الرسالة الخاتمة من رسالات السماء التي يجب أن تمتد مع الزمن ، وتتعدىٰ كل الحدود الوقتية والإقليمية والقومية[٨٩] ، الأمر الذي لا يسمح بأن تمارس زعامته التي تشكل الأساس لكل ذلك الامتداد ، تجارب الخطأ والصواب ، التي تتراكم فيها الأخطاء عِبَر فترة من الزمن حتىٰ تشكل ثغرةً تهدد ، التجربة بالسقوط والانهيار[٩٠] .

---

(٨٦) من المقولات الشائعة في أوساط أصحاب النظريات وعند المفكرين : أنّ النظرية تغتني بالتطبيق ولذلك ينبه الشهيد الصدر علىٰ أن الإسلام ليس من هذا القبيل.

(٨٧) لاحظ قوله تعالىٰ : ﴿ ... مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ... ﴾ الأنعام / ٣٨ وقال تعالى : ﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ... ﴾ النحل / ٨٩ وقال تعالى : ﴿ ...وَمَآ آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُواْ ... ﴾ الحشر /٧ .

(٨٨) راجع الدراسة التي أُلحقت بالبحث في الآخر.

(٨٩) قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ... ﴾ سبأ/ ٢٨ وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرسَلْنَاكَ إِلَّا رحمة لِّلعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء/ ١٠٧ .

(٩٠) لقد أراد نبينا محمد (صلىٰ الله عليه وآله) تجنيب أمته مرارة ومعاناة تجربة الخطأ←

وكل ما تقدم يدلّ علىٰ أنّ التوعية التي مارسها النبي (صلىٰ الله عليه وآله) علىٰ المستوى العام للمهاجرين والأنصار، لم تكن بالدرجة التي يتطلبها إعداد القيادة الواعية الفكرية والسياسية لمستقبل الدعوة وعملية التغيير، وإنما كانت توعية بالدرجة التي تبني القاعدة الشعبية الواعية التي تلتف حول قيادة الدعوة في الحاضر والمستقبل.

وأي افتراض يتجه الى القول بأن النبي (صلىٰ الله عليه وآله) كان يخطط لإسناد قيادة التجربة والقيمومة علىٰ الدعوة بعدهُ مباشرةً الى جيل المهاجرين والأنصار، يحتوي ضمناً اتهام أذكىٰ وأبصر قائد رسالي في تاريخ العمليات التغييرية، بعدم القدرة علىٰ التمييز بين الوعي المطلوب علىٰ مستوىٰ القاعدة الشعبية للدعوة والوعي المطلوب علىٰ مستوىٰ قيادة الدعوة وإمامتها الفكرية والسياسية.

**النقطة الثالثة :**

إنّ الدعوة عملية تغيير، ومنهاج حياة جديد، وهي تستهدف بناء أمة من جديد واقتلاع كل جذور الجاهلية ورواسبها من وجودها.

والأُمة الإسلامية - ككل - لم تكن قد عاشت في ظل عملية التغيير هذه إلا عقداً واحداً من الزمن علىٰ أكثر تقدير، وهذا الزمن

---

⇐ والصواب، وما يمكن أن تجرّه علىٰ الأُمةالمسلمة من ويلات وآلام وتيه فقال: «هلموا اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً ...» ولكن الرزية كلّ الرزية - علىٰ حد تعبير ابن عباس أن مُنعَ رسول الله من ذلك.

راجع القصة في صحيح البخاري /ج٨ / ص١٦١ باب الاعتصام.

القصير لا يكفي ـ عادةً ـ في منطق الرسالات العقائدية ، والدعوات التغييرية، لارتفاع الجيل الذي عاش في كنف الدعوة عشر سنوات فقط الى درجة من الوعي والموضوعية والتحرر من رواسب الماضي[٩١] ، والاستيعاب لمعطيات الدعوة الجديدة ، تؤهله للقيمومة علىٰ الرسالة وتحمل مسؤوليات الدعوة ومواصلة عملية التغيير بدون قائد ، بل إنَّ منطق الرسالات العقائدية يفرض أن تمرَّ الأُمة بوصاية عقائدية فترةً أطول من الزمن ، تهيؤها للارتفاع إلى مستوى تلك القيمومة[٩٢] .

وليس هذا شيئاً نستنتجه استنتاجاً فحسب ، وإنما يعبّر أيضاً عن الحقيقة التي برهنت عليها الأحداث بعد وفاه القائد الرسول ( صلىٰ الله عليه وآله ) ، وتجلّت عِبَر نصف قرنٍ أو أقل من خلال ممارسة جيل المهاجرين والأنصار لإمامة الدعوة والقيمومة عليها ، إذ لم يمض على هذه القيمومة ربع قرن حتىٰ بدأت الخلافة الراشدة والتجربة

---

(٩١) لاحظ حدوث حالات النكوص والارتداد بعد وفاة الرسول (صلىٰ الله عليه وآله) ، ولاحظ المفارقات والمخالفات الصريحة لمتبنيات الإسلام وأخلاقيته فيما أُقدمَ عليه حتىٰ بعض القادة العسكريين الكبار ، كما حصل من مثل خالد بن الوليد ، إذ اتهمه الخليفة الثاني عمر في قصة مالك بن نويرة فقال عن خالد : انه قتلَ امرأً مسلماً ـ يعني مالك بن نويره ـ ونزا علىٰ امرأته.

راجع : تاريخ الطبري /ج ٢ /ص ٢٨٠ ، الطبعة المحققة / دار التراث بيروت .

(٩٢) كان هذا منطق الرسالات السابقة ، كما في وراثة سليمان لداود ، وكما في خلافة هارون عن موسىٰ : « قال اخلفني في قومي وأصلح ... » .

ثم هو يقتضيه منطق الأشياء ، ومنطق الشريعة الخاتمة ـ راجع الملحق .

الاسلامية، التي تولىٰ جيل المهاجرين والأنصار قيادتها تنهار تحت وقع الضربات الشديدة التي وجهها أعداء الإسلام القدامىٰ(٩٣)، ولكن من داخل إطار التجربة الإسلامية لامن خارجها، إذ استطاعوا أن يتسللوا الى مراكز النفوذ في التجربة بالتدريج، ويستغلوا القيادة غير الواعية، ثم صادروا بكل وقاحةٍ وعنف، تلك القيادة، وأجبروا الأُمة وجيلها الطليعي الرائد علىٰ التنازل عن شخصيته وقيادته، وتحولت الزعامة الى ملك موروث(٩٤)، يَستهتر بالكرامات ويَقتُل الأبرياء(٩٥)، ويُبعثِر الأموال(٩٦)، ويُعطِّل الحدود، ويُجمِّد الأحكام(٩٧)، ويَتلاعَب

---

(٩٣) يقصد بهم من أسلم زمن الفتح ـ فتح مكة ـ وكان من المؤلفة قلوبهم أبو سفيان ومعاوية. تاريخ الطبري /ج٢ /ص ١٧٥.

(٩٤) راجع: المقدمة / ابن خلدون / ص ٢٢٧ / انقلاب الخلافة الى ملك طبعة دار الجيل، وقد نقل ابن الأثير /ج٣ /ص ١٩٩ (طبعة الحلبي) عن عبدالرحمن بن أبي بكر، وهو يقاطع مروان حين كان يخطب علىٰ منبر المدينة، مدافعاً عن وجهة نظر معاوية، إذ صاح به عبدالرحمن قائلاً: كذبتَ والله وكذب معاوية، ما الخيار أردتما لأُمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل ... وراجع تاريخ الخلفاء السيوطي /ص٢٠٣.

(٩٥) نقل ابن الأثير /ج٣ /ص ٤٨٧: عن الحسن البصري ـ وهو من أجلاء التابعين المشهورين ـ أنه قال: أربع خصال كنّ في معاوية، لو لم تكن فيه إلا خصلة واحدة لكانت موبقة؛ انتزاؤه علىٰ هذه الأُمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضلية؛ واستخلافه بعده ابنه يزيد سكيراً؛ وادعاؤه زياداً؛ وقتله حجر بن عدي وأصحاب حجر، فيا ويلاً له من حجر، ويا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر ...

(٩٦) راجع: التاج الجامع للأصول /ج٥ /ص ٣١٠، وراجع للتفصيل: العدالة الاجتماعية في الإسلام / الشهيد سيد قطب / ص ٢٣١ وما بعدها.

(٩٧) راجع ما نقله السيوطي في تاريخه / ص ٢٠٩ وما بعدها: ما ارتكبه يزيد من المنكرات←

بمقدرات الناس ، وأصبح الفيء والسواد بستاناً لقريش ، والخلافة كرةً يتلاعب بها صبيان بني أميّة[٩٨] .

فواقع التجربة بعد النبي ، وما تمخض عنه بعد ربع قرن من نتائج يدعم الاستنتاج المتقدم ، الذي يؤكد أنَّ إسناد القيادة والإمامة الفكرية والسياسية لجيل المهاجرين والأنصار عقيب وفاة النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) مباشرة إجراء مبكر ، وقبل وقته الطبيعي ولهذا ليس من المعقول أن يكون النبي قد اتخذ إجراءً من هذا القبيل .

---

⇐ الشنيعة ، من قتله ريحانة رسول الله الحسين (عليه السلام) ، وسبي حرم رسول الله ، ومن ضرب الكعبة ، واستباحة المدينة المنورة وقتل أهلها والاعتداء علىٰ النواميس .

(٩٨) يريد قول أبي سفيان لعثمان حين توليه الخلافة. / راجع تاريخ الخلفاء السيوطي / ص ٢٠٩. وراجع : النزاع والتخاصم بين بني هاشم وبني أمية / المقريزي / ص ٥٦ / تحقيق الدكتور مؤنس .

# المبحث الثالث

## الإيجابية ممثلةً بالاختيار والتعيين

إن الطريق الثالث المفترض هو الإيجابية ممثلة في إعداد ونصب من يقود الأُمة وهذا هو الطريق الوحيد الذي بقي منسجماً مع طبيعة الأشياء، ومعقولاً في ضوء ظروف الدعوة والدعاة، وسلوك النبي (صلىٰ الله عليه وآله)[99]، وهو أن يقف النبيُّ من مستقبل الدعوة بعد وفاته موقفاً إيجابياً، فيختار بأمر الله سبحانه وتعالىٰ - شخصاً يرشحه عمقُ وجوده في كيان الدعوة، فيعدّه إعداداً رسالياً[100] وقيادياً خاصاً، لتتمثل فيه المرجعية الفكرية والزعامة السياسية للتجربة، وليواصلَ بعده - بمساندة القاعدة الشعبية الواعية من المهاجرين والأنصار - قيادة

---

(٩٩) لا شك بعد استبعاد الافتراضين السابقين علمياً، لا يبقىٰ إلا هذا الافتراض من وجهة منطقية مقبولة.

(١٠٠) راجع ما بيناه عن هذا الاختيار، وعن عملية الاعداد الرسالي (الفكري والعلمي والتربوي) في الملحق.

الأُمة وبناءها عقائدياً، وتقريبها باستمرار نحو المستوى الذي يُؤهلّها لتحمل المسؤوليات القيادية.

وهكذا نجد أنَّ هذا هو الطريق الوحيد الذي كان بالإمكان أن يضمن سلامة مستقبل الدعوة، وصيانة التجربة في خط نموها وهكذا كان[١٠١].

وليس ما تواتر عن النبي (صلىٰ الله عليه وآله) من النصوص التي تدلُّ علىٰ أنه كان يمارس إعداداً رسالياً وتثقيفاً عقائدياً خاصاً لبعض الدعاة علىٰ مستوىً يهيئه للمرجعية الفكرية والسياسية، وإنه (صلىٰ الله عليه وآله) قد عهَد اليه بمستقبل الدعوة، وزعامة الأُمة من بعده، فكرياً وسياسياً[١٠٢]، ليس هذا إلّا تعبيراً عن سلوك القائد الرسول (صلىٰ الله عليه وآله) للطريق الثالث الذي كانت تفرضه، وتدلُّ عليه من قبل ذلك طبيعة الأشياء كما عرفنا.

ولم يكن هذا الشخص الداعية المرشح للإعداد الرسالي القيادي، والمنصوب لتسلم مستقبل الدعوة، وتزعمها فكرياً وسياسياً، إلا عليّ بن أبي طالب، الذي رشحه لذلك عمقُ وجوده في كيان الدعوة، وإنه المسلم الأول، والمجاهد الأول في سبيلها عِبَر كفاحها المرير ضد كلّ أعدائها، وكذلك عمقُ وجوده في حياة القائد الرسول (صلىٰ الله عليه وآله)، وإنه ربيبُه الذي فتح عينيه في حجره، ونشأ في

---

(١٠١) إذ تمّ تهيئة الخليفة القائد ـ وتمّ تعيينه فعلاً ـ كما هو تصريح النصوص.

(١٠٢) راجع ما نقلناه من النصوص المعتبرة عن إخواننا السنة / في الملحق.

كنفهِ، وتهيأت له من فرص التفاعل معه والاندماج بخطه، مالم يتوفر لأي إنسان آخر(١٠٣).

والشواهد من حياة النبي والإمام عليّ، علىٰ أنّ النبيّ (صلىٰ الله عليه وآله) كان يعدُّ الإمام اعداداً رسالياً خاصاً، كثيرة جداً، فقد كان النبي يخصه بكثير من مفاهيم الدعوة وحقائقها، ويبدؤه، بالعطاء الفكري والتثقيف إذا استنفذ الإمام أسئلته(١٠٤)، ويختلي به الساعات الطوال في الليل والنهار، يفتح عينيه علىٰ مفاهيم الرسالة ومشاكل الطريق، ومناهج العمل الى آخر يومٍ من حياته الشريفة.

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي إسحاق، سألتُ القاسم بن العباس «كيف وَرث عليٌّ رسول الله؟ قال: «لأنه كان أولنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقاً...»(١٠٥).

وفي حِلية الأولياء عن ابن عباس أنه يقول: «كنّا نتحدث أنَّ النبي (صلىٰ الله عليه وآله) عهِد الى عليٍّ بسبعين عهداً، لم يعهد إلى غيره»(١٠٦).

---

(١٠٣) راجع خطبة الإمام عليّ (عليه السلام) الشهيرة بالقاصعة ـ كما ذكرناها في الملحق ـ نهج البلاغة / ص ٣٠٠ / ٣٠١ / ضبط الدكتور صبحي الصالح.

(١٠٤) جاء عن الإمام عليّ (عليه السلام) أنه قال: «كنتُ إذا سألته ـ أي رسول الله ـ أعطاني و إذا سكتُّ ابتدأني ...». السنن الكبرىٰ / النسائي / ج٥ / ص ١٤٢؛ الصواعق المحرقة / ص ١٢٧.

(١٠٥) المستدرك علىٰ الصحيحين / الحاكم النيسابوري / ج ٣ / ص ١٣٦ حديث رقم ٤٦٣٣ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(١٠٦) حلية الأولياء / لأبي نعيم / ج١ / ص ٦٨، طبعة دار الكتاب العربي بيروت / ط٥ / ١٤٠٧هـ.

وروىٰ النسائي في الخصائص عن الإمام عليّ أنه يقول: «كانت لي منزلةٌ من رسول الله لم تكن لأحدٍ من الخلائق؛ كنتُ أدخل على نبي الله كلَّ ليلةٍ، فإن كان يصلي سبّح فدخلت، وإن لم يكن يصلي أذِنَ لي فدخلت»[١٠٧]. وروىٰ أيضاً عن الإمام عليّ (عليه السلام) قوله: «كان لي من النبي مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار...»[١٠٨].

وروى النسائي عن الإمام أيضاً انه كان يقول: «كنتُ إذا سألتُ رسول الله اعطيت، وإذا سكتُّ ابتدأني...»[١٠٩]. ورواه الحاكم في المستدرك أيضاً، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين[١١٠].

وروى النسائي عن امّ سلمة أنها كانت تقول: «والذي تحلف به امُّ سلمة: إنَّ أقرب الناس عهداً برسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) عليٌّ، قالت: لما كانت غداة قبض رسول الله، فأرسل إليه رسول الله، وأظنه كان بعثه في حاجةٍ، فجعل يقول: جاء عليّ؟ ثلاث مرات، فجاء قبل طلوع الشمس، فلما أن جاء عرفنا أَنَّ له اليه حاجة، فخرجنا من البيت، وكنّا عند رسول الله يومئذٍ في بيت عائشة، وكنت في آخر من خرج من البيت، ثم جلستُ وراء الباب، فكنتُ أدناهم الى الباب،

---

(١٠٧) السنن الكبرىٰ ـ الخصائص ـ ج٥ / ص١٤٠ ح / ٨٤٩٩ / ١.
(١٠٨) المصدر السابق /ج٥ / ص١٤١.
(١٠٩) المصدر السابق /ج٥ / ص١٤٢.
(١١٠) المستدرك /ج٣ / ص١٣٥ ـ حديث برقم ٤٦٣٠ ـ تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا / طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١١ هـ

فأكبَّ عليه عليٌّ فكان آخر الناس به عهداً، فجعل يسارّه ويناجيه »[(١١١)].

وقال أمير المؤمنين في خطبته القاصعة الشهيرة، وهو يصف ارتباطه الفريد بالرسول القائد، وعناية النبي بإعداده وتربيته: « وقد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولدٌ، يضمنّي إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجَدَ لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل ... ولقد كنتُ أتّبِعه اتّباع الفصيل لأثر أمّه، يرفع لي في كل يومٍ من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاورُ في كل سنةٍ بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيتٌ واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرىٰ نورَ الوحي والرسالة، وأشمُّ ريح النبوة ... »[(١١٢)].

إنَّ هذه الشواهد، وشواهد أخرىٰ كثيرة، تقدّم لنا صورةً عن ذلك الإعداد الرسالي الخاص الذي كان النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) يمارسه في سبيل توعية الإمام علىٰ المستوىٰ القيادي للدعوة. كما إنّ في حياة الإمام عليّ ( عليه السلام ) بعد وفاة القائد الرسول (صلىٰ الله عليه وآله) أرقاماً كثيرة جداً تكشف عن ذلك الإعداد العقائدي الخاص للإمام عليّ ( عليه السلام ) من قِبل النبي ( صلىٰ الله عليه وآله )،

---

(١١١) السنن الكبرىٰ / النسائي / ج٥ /ص١٥٤ باب ٥٤، وراجع الرواية في مختصر تاريخ ابن عساكر /ج١٨ / ص٢١.

(١١٢) نهج البلاغة / ضبط الدكتور صبحي الصالح / خطبة رقم ١٩٢ .

بما تعكسه من آثار ذلك الإعداد الخاص ونتائجه. فقد كان الإمام هو المفزع والمرجع لحلّ أي مشكلة يستعصي حلّها علىٰ القيادة الحاكمة وقتئذٍ[١١٣]. ولا نعرف في تاريخ التجربة الإسلامية علىٰ عهد الخلفاء واقعة واحدة رجع فيها الإمام الى غيره لكي يتعرف علىٰ رأي الإسلام وطريقة علاجه للموقف، بينما نعرف في التاريخ عشرات الوقائع التي أحسّت القيادة الإسلامية الحاكمة بضرورة الرجوع الى الإمام علىٰ رغم تحفظاتها في هذا الموضوع.

وإذا كانت الشواهد كثيرة علىٰ أنَّ النبي (صلىٰ الله عليه وآله) كان يعدّ الإمام إعداداً خاصاً لمواصلة قيادة الدعوة من بعده، فالشواهد علىٰ إعلان الرسول القائد عن تخطيطه هذا، وإسناده زعامة الدعوة الفكرية والسياسية رسمياً الى الإمام عليّ (عليه السلام) لا تقلُّ عنها كثرةً؛ كما نلاحظ ذلك في حديث الدار[١١٤]، وحديث الثقلين[١١٥]، وحديث المنزلة[١١٦]، وحديث الغدير[١١٧]، وعشرات النصوص النبوية

---

(١١٣) راجع الملحق، وراجع تاريخ الخلفاء/السيوطي/ص ١٧٠ / ١٧٢. قال عمر بن الخطاب: «لا أبقاني الله لمعظلةٍ ليس لها أبو الحسن» الصواعق المحرقة / ابن حجر / ص١٢٧.

(١١٤) حديث الدار: عندما نزل قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ راجع تفسير الخازن/ج٣ /ص ٣٧١، دار المعرفة ـ بيروت.

(١١٥) حديث الثقلين أخرجه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد، راجع: صحيح مسلم/ج ٤ ص١٨٧٣، صحيح الترمذي /ج٥ /ص ٥٩٦ ـ تحقيق كمال الحوت /طبعة دار الفكر.

(١١٦) حديث المنزلة: «أنت مني بمنزلة هرٰون من موسى..» صحيح البخاري /ج٥ /ص ٨١ /باب ٣٩.

(١١٧) حديث الغدير: راجع سنن ابن ماجة / المقدمة / باب١١ /ج١ /ص٤٣، ومسند الإمام أحمد / ج ٤ /ص ٢٨١ ـ طبعة دار صادر ـ بيروت.

الاخرىٰ[118] .

وهكذا وُجد التشيع في إطار الدعوة الإسلامية متمثلاً في هذه الإطروحة النبوية التي وضعها النبي ( صلىٰ الله عليه آله ) ـ بأمرٍ من الله ـ للحفاظ علىٰ مستقبل الدعوة.

وهكذا وُجد التشيع لا كظاهرة طارئة علىٰ مسرح الأحداث ، بل كنتيجة ضرورية لطبيعة تكوّن الدعوة وحاجاتها وظروفها الأصلية التي كانت تفرض علىٰ الإسلام أن يلدَ ( التشيّع ) ، وبمعنىٰ آخر كانت تفرض علىٰ القائد الأول للتجربة ان يُعدَّ للتجربةِ قائدها الثاني[119] الذي تواصل علىٰ يده ويد خلفائه نموها الثوري ، وتقترب نحو اكتمال هدفها التغييري في اجتثاث كل رواسب الماضي الجاهلي وجذوره ، وبناء أمة جديدة علىٰ مستوىٰ متطلبات الدعوة ومسؤولياتها .

---

(١١٨) راجع ملحق البحث في بسط هذا المطلب والتوسع فيه .

(١١٩) راجع مختصر تاريخ ابن عساكر /ج١٨ /ص ٣٥ : قول الخليفة الثاني لأُصحاب الشورىٰ .

# الفصل الثاني

# نشأة الشيعة

## المبحث الأول

* نشوء اتّجاهين رئيسين في حياة النبي (ص)

## المبحث الثاني

* المرجعية الفكرية والمرجعية القيادية

## المبحث الثالث

* التشيّع الروحي والتشيّع السياسي

## تمهيد

عرفنا كيف وُلد (التشيّع)، وأما كيف ولدت «الشيعة» ونشأ الانقسام علىٰ أساس ذلك في الأمة الإسلامية، فهذا ما سنجيب عنه الآن:

إننا إذا تتبعنا المرحلة الأولىٰ من حياة الأمة الإسلامية، في عصر النبي (صلىٰ الله عليه وآله) نجدُ أن اتجاهين رئيسيين ومختلفين قد رافقا نشوء الأمة وبداية التجربة الإسلامية منذ السنوات الاولىٰ، وكانا يعيشان معاً داخل إطار الأمة الوليدة التي أنشأها الرسول القائد (صلىٰ الله عليه وآله). وقد أدّى هذا الاختلاف بين الاتجاهين إلى انقسام عقائدي عقيب وفاة الرسول مباشرةً، شطرَ الأمةَ الإسلامية الى شطرين، قدر لأحدهما أن يحكم فاستطاع أن يمتدَ ويستوعب أكثرية المسلمين، بينما أقصي الشطر الآخر عن الحكم، وقُدرَ له أن يمارس وجوده كأقلية معارضة، ضمن الإطار الإسلامي العام، وكانت هذه الأقلية هي (الشيعة). [وها هنا ثلاثة مباحث].

# المبحث الأول

## نشوء اتّجاهين رئيسين في حياة النبي (ص)

إنَّ الاتجاهين الرئيسين اللذين رافقا نشوء الأمة الإسلامية في حياة النبي (صلىٰ الله عليه وآله) منذ البدء هما:

**أولاً**: الاتجاه الذي يؤمن بالتعبد بالدين وتحكيمه والتسليم المطلق للنص الديني في كل جوانب الحياة[120].

**وثانياً**: الاتجاه الذي لا يرىٰ أنّ إيمانه بالدين يتطلب منه التعبد إلا في نطاق خاص من العبادات والغيبيات، ويؤمن بإمكانية الاجتهاد وجواز التصرف علىٰ أساسه بالتغيير والتعديل في النص الديني وفقاً للمصالح في غير ذلك النطاق من مجالات الحياة[121].

---

(١٢٠) هذا هو اتجاه مدرسة أهل البيت عليهم السلام واتجاه التشيع.

(١٢١) هذا هو اتجاه المدرسة الأُخرىٰ من المذاهب السنيّة. ←

وبالرغم من أنّ الصحابة، بوصفهم الطليعة المؤمنة والمستنيرة، كانوا أفضل وأصلح بذرة لنشوء أمة رسالية، حتىٰ أن تاريخ الإنسان لم يشهد جيلاً عقائدياً أروع وأنبل وأطهر من الجيل الذي أنشأه الرسول القائد. وبالرغم من ذلك نجد من الضروري التسليم بوجود اتجاه واسع، منذ كان النبي حيّاً، يميل إلى تقديم الاجتهاد في تقدير المصلحة، واستنتاجها من الظروف، علىٰ التعبد بحرفية النص الديني، وقد تحمل الرسول (صلىٰ الله عليه وآله) المرارة في كثير من الحالات بسبب هذا الاتجاه حتىٰ وهو علىٰ فراش الموت في ساعاته الأخيرة علىٰ ما يأتي(١٢٢)، كما كان هناك اتجاه آخر يؤمن بتحكيم الدين والتسليم له والتعبد بكل نصوصه في جميع جوانب الحياة.

وقد يكون من عوامل انتشار الاتجاه الاجتهادي في صفوف المسلمين انه يتفق مع ميل الإنسان بطبيعته الى التصرف وفقاً لمصلحة يدركها ويقدرها، بدلاً عن التصرف وفقاً لقرار لا يفهم مغزاه.

---

⇐راجع للتفصيل: معالم المدرستين / العلامة السيد مرتضىٰ العسكري.

وراجع أيضاً: مناهج الاجتهاد ـ الدكتور محمد سلام مدكور / مطبوعات جامعة الكويت.

(١٢٢) راجع صحيح البخاري /ج٨ /ص ١٦١ كتاب الاعتصام.

لاحظ المواقف التي لم يتعبدوا فيها بالنص. ما حدث في عدم إنفاذ سريّة أسامة، واعتراضهم، وما حدث عند ارادة كتب الكتاب عندما قال النبي (صلىٰ الله عليه وآله) «هلموا اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي...» ولاحظ الموقف من صلح الحديبية.

راجع كتب التواريخ والرواية فيما ذكرنا. والمناقشة والتفصيل: المراجعات / السيد العلامة عبدالحسين شرف الدين. مؤسسة دار الكتاب الاسلامي تحقيق وتعليق حسين الراضي ـ تقديم الدكتور حامد حفني، والشيخ محمد فكري أبو النصر.

وقد قدر لهذا الاتجاه ممثلون جريئون من كبار الصحابة من قبيل عمر بن الخطاب ، الذي ناقش الرسول ( صلىٰ الله عليه وآله ) ، واجتهد في مواضع عديدة ، خلافاً للنص ، إيماناً منه بجواز ذلك ، ما دام يرى أنه لم يخطئ المصلحة في اجتهاده. وبهذا الصدد يمكننا أن نلاحظ ، موقفه من صلح الحديبية واحتجاجه علىٰ هذا الصلح(١٢٣) ، وموقفه من الأذان وتصرفه فيه باسقاط « حيّ علىٰ خير العمل »(١٢٤) وموقفه من النبي حين شرع متعة الحج(١٢٥) ، الى غير ذلك من مواقفه

---

(١٢٣) راجع السيرة النبوية / لابن هشام / القسم الثاني / ص٣١٦ / ٣١٧ ، تحقيق مصطفىٰ السقا وآخرين ، دار الكنوز الأدبية بيروت .
وراجع أيضاً : تاريخ الطبري /ج ٢ / ص ١٢٢.

(١٢٤) راجع شرح التجريد / القوشجي / آخر مبحث الإمامة قال : كانت همم اولي الأمر منصرفة الى نشر الدعوة الإسلامية ، وفتح المشارق والمغارب ، وفتح الممالك لا يكون إلا بتشويق الجند الى التورط في سبيله بالمهالك ، بحيث يشربون في قلوبهم الجهاد ، حتىٰ يعتقدون أنه خير عمل يرجونه يوم المعاد . ولذا ترجح في نظرهم إسقاط هذا الفصل يعني حي علىٰ خير العمل ـ في الأذان ـ تقديماً لتك المصلحة علىٰ التعبد بما جاء به الشرع الأقدس ، فقال الخليفة الثاني علىٰ المنبر : ثلاث كنَّ علىٰ عهد رسول الله ، وأنا أنهىٰ عنهن ، وأحرمهن، وأعاقب عليهن ، متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحيّ علىٰ خير العمل .

(١٢٥) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول / الشيخ منصور عليّ ناصف من علماء الأزهر الشريف / ج ٢ / ص ١٢٤ ـ كتاب الحج ـ عن أبي جَمره الضبعي قال : تمتعت فنهاني ناس عن ذلك فسألتُ ابن عباس ، فأمرني بها ثم انطلقتُ الى البيت فنمتُ فأتاني آت في منامي فقال : عُمَرةُ متقبلة وحجّ مبرور قال : فأتيتُ ابن عباس فأخبرته بما رأيت فقال : الله أكبر الله أكبر سُنة أبي القاسم (صلىٰ الله عليه وآله) ، ورواه مسلم والبخاري ... وعن عمران بن حُصين قال : نزلت آيةُ المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) ولم يحرمها قرآن ، ولم ينه عنها حتىٰ مات. ورواه الشيخان قال الشيخ ناصف في الهامش : ←

الاجتهادية[١٢٦].

وقد انعكس كلا الاتجاهين في مجلس الرسول ( صلىٰ الله عليه وآله ) في آخر يومٍ من أيام حياته فقد رویٰ البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال : لما حضرَ رسول الله الوفاة ، وفي البيت رجالٌ فيهم عمر بن الخطاب ، قال النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) هلم اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده. فقال عمر : إنَّ النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول : قرّبوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم : « قوموا »[١٢٧].

وهذه الواقعة وحدها كافية للتدليل علىٰ عمق الاتـجاهين ، ومدیٰ التناقض والصراع بينهما.

ويمكن أن نضيف اليها ـ لتصوير عـمق الاتّـجاه الاجـتهادي ورسوخه ـ ما حصل من نزاع وخلاف بين الصحابة حول تأمير أسامة ابن زيد علىٰ الجيش ، بالرغم من النص النبوي الصريح علىٰ ذلك ، حتىٰ خرج الرسول ( صلىٰ الله عليه وآله ) ـ وهو مريض ـ فخطب الناس وقال :

---

⇐ « اشتهر النهي عن المتعة عن عمر وعثمان ومعاوية ».

(١٢٦) راجع تفاصيل أوفىٰ /النص والاجتهاد/العلامة عبد الحسين شرف الدين/ص ١٦٩/ ٢٤٣.

(١٢٧) راجع صحيح البخاري/كتاب العلم/ج١ / ص٣٧ ، طبعة دار الفكر ـ بيروت / ١٩٨١ وراجع : الطبقات الكبرىٰ / لابن سعد/ج٢ /ص ٢٤٢.

«يا أيها الناس، ما مقالةٌ بلغتني عن بعضكم في تأمير أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأمير أبيه من قبلُ، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة وإنَّ ابنه من بعده لخليق بها»(١٢٨).

وهذان الاتجاهان اللذان بدأ الصراع بينهما في حياة النبي (صلىٰ الله عليه وآله)، قد انعكسا علىٰ موقف المسلمين من إطروحة زعامة الإمام للدعوة بعد النبي (صلىٰ الله عليه وآله). فالممثلون للاتجاه التعبدي وجدوا في النص النبوي علىٰ هذه الإطروحة سبباً بقبولها، دون توقف أو تعديل.

وأما الاتجاه الاجتهادي فقد رأىٰ أنه بامكانه أن يتحرر من الصيغة المطروحة من قبل النبي (صلىٰ الله عليه آله)، إذا أدّى اجتهاده الى صيغة اخرى أكثر انسجاماً ـ في تصوره ـ مع الظروف.

وهكذا نرىٰ أن الشيعة وُلدوا منذ وفاة الرسول (صلىٰ الله عليه وآله) مباشرةً، متمثلين في المسلمين الذين خضعوا عملياً لإطروحة زعامة الإمام وقيادته، التي فرض النبي الابتداء بتنفيذها من حين وفاته مباشرة. وقد تجسّد الاتجاه الشيعي، منذ اللحظة الاولىٰ، في إنكار ما اتجهت اليه السقيفة من تجميد لإطروحة زعامة الإمام عليّ، واسناد السلطة الى غيره.

ذكر الطبرسي في الاحتجاج عن أبان بن تغلب قال: «قلتُ

---

(١٢٨) راجع الطبقات الكبرىٰ/ لابن سعد/ ج ٢/ ص ٢٤٨، وراجع أيضاً الكامل في التاريخ/ لابن الأثير/ ج ٢/ ص ٣١٨/ ٣١٩.

لجعفر بن محمد الصادق: جعلت فداك، هل كان أحد في أصحاب رسول الله أنكر علىٰ أبي بكر فعله؟ قال: نعم كان الذي أنكر عليه اثناعشر رجلاً؛ فمن المهاجرين: خالد بن سعيد، ابن أبي العاص، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي، ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وعثمان ابن حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأُبيٌّ بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري»[١٢٩].

وقد تقول: إذا كان الاتجاه الشيعي يمثل التعبد بالنص، والاتجاه الآخر المقابل له يمثل الاجتهاد، فهذا يعني أن الشيعة يرفضون الاجتهاد ولا يسمحون لأنفسهم به، مع أنّا نجد أن الشيعة يمارسون عملية الاجتهاد في الشريعة دائماً!

**والجواب:**

إنَّ الاجتهاد الذي يمارسه الشيعة ويرونه جائزاً بل واجباً، وجوباً كفائياً، هو الاجتهاد في استنباط الحكم الشرعي من النص الشرعي، لا الاجتهاد في النص الشرعي لرأي يراه المجتهد أو لمصلحةٍ يخمنها[١٣٠]، فإنّ هذا غير جائز، والاتجاه الشيعي يرفض أي

---

(١٢٩) الاحتجاج / الطبرسي / ج١ / ص ٧٥، نشر مؤسسة الأعلمي - بيروت / ١٩٨٣ (الشهيد) وراجع: تاريخ اليعقوبي /ج٢/ص١٠٣.

(١٣٠) راجع: المعالم الجديدة للأصول / الشهيد الصدر (رض) / ص ٢٣ وما بعدها، ففيه تفصيل وافٍ لتطور دلالة الاجتهاد وأنه كان مما يتحرج منه إذ كان يُراد به «المبدأ الفقهي الذي←

ممارسةٍ للاجتهاد بهذا المعنىٰ، ونحن حينما نتحدث عن قيام اتجاهين منذ صدر الإسلام:

**أحدهما**: اتجاه التعبد بالنص، والآخر: اتجاه الاجتهاد، ونعني بالاجتهاد هنا، الاجتهاد في رفض النص أو قبوله.

وقيام هذين الاتجاهين شيء طبيعي في ظل كل رسالة تغييرية شاملة تحاول تغيير الواقع الفاسد من الجذور، فإنها تتخذ درجات مختلفة من التأثير حسب حجم الرواسب المسبقة ومدىٰ انصهار الفرد بقيم الرسالة الجديدة ودرجة ولائه لها.

وهكذا نعرف أن الاتجاه الذي يمثل التعبد بالنص يمثل الدرجة العليا من الانصهار بالرسالة والتسليم الكامل لها، وهو لا يرفض الاجتهاد ضمن إطار النص، وبذل الجهد في استخراج الحكم الشرعي منه(١٣١). ومن المهم أن نشير ـ في هذا الصدد أيضاً ـ الى أنَّ التعبد

---

⇐ يتخذ من التفكير الشخصي مصدراً من مصادر الحكم، وقد دخلت الحملة ضد هذا المبدأ الفقهي دور التصنيف في عصر الأئمة أيضاً والرواة الذين حملوا آثارهم...» فالاجتهاد هنا إذا اعتبر دليلاً من أدلة الفقيه ومصدراً من مصادره يستدل به إذا لم يتوفر عنده النص، هذا النوع من الاجتهاد، وهو ما نادت به مدارس كثيرة في الفقه السني كمدرسة أبي حنيفة، مرفوض، وقد قال الطوسي: «أما القياس والاجتهاد عندنا فليسا بدليلين بل محظور في الشريعة استعمالهما» ولكن عندما تطور مفهوم الاجتهاد وصار يعني عملية استنباط الحكم من النص أي صار يرادف عملية الاستنباط أصبح مقبولاً ومعمولاً به. وراجع أقسام الاجتهاد وأنواعه ونطاقه: الأصول العامة للفقه المقارن /العلامة محمد تقي الحكيم /ص ٥٦١ ومابعدها.

(١٣١) راجع: الأصول العامة للفقه المقارن / محمد تقي الحكيم /ص ٥٦٣.

بالنص لايعني الجمود والتصلّب الذي يتعارض مع متطلبات التطور وعوامل التجديد المختلفة في حياة الإنسان، فإنَّ التعبد بالنصّ معناه ـكما عرفنا ـ التعبد بالدين، والأخذ به كاملاً، دون تبعيض، وهذا الدين نفسه يحمل في أحشائه كلَّ عناصر المرونة والقدرة علىٰ مسايرة الزمن واستيعابه، بكل ما يحمل من ألوان التجديد والتطور، فالتعبد به وبنصه تعبد بكل تلك العناصر، وبكل ما فيها من قدرةٍ علىٰ الخلق والإبداع والتجديد.[١٣٢] هذه خطوط عامة في تفسير التشيّع، بوصفه ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية، وتفسير ظهور الشيعة كاستجابة لتلك الظاهرة الطبيعية.

---

(١٣٢) راجع: المعالم الجديدة للأصول / ص ٤٠.

# المبحث الثاني

## المرجعية الفكرية والمرجعية القيادية

إنَّ إمامة أهل البيت والإمام عليّ التي تمثلها تلك الظاهرة الطبيعية تُعبِّر عن مرجعيتين :

إحداهما المرجعية الفكرية ، والأُخرىٰ المرجعية في العمل القيادي والاجتماعي ، وكلتا المرجعيتين كانتا تتمثلان في شخص النبي ( صلىٰ الله عليه وآله ) ، وكان لابدّ في ضوء ما درسنا من ظروف أن يصمم الرسول الأعظم ( صلىٰ الله عليه وآله ) الامتداد الصالح له لتحمل كلتا المرجعيتين ، لكي تقوم المرجعية الفكرية بملء انفراغات التي قد تواجهها ذهنية المسلمين ، وتقديم المفهوم المناسب ، ووجهة النظر الإسلامية فيما يستجد من قضايا الفكر والحياة ، وتفسير ما يشكل ويغمض من معطيات الكتاب الكريم[١٣٣] ، الذي يشكل المصدر

---

(١٣٣) راجع ما أثبتناه في الملحق آخر الكتاب حول هذه المسألة : مدىٰ قدرة الإمام عليّ (ع) ←

الأول للمرجعية الفكرية في الإسلام ، ولكي تقوم المرجعية القيادية الاجتماعية بمواصلة المسيرة ، وقيادة المسيرة الإسلامية في خطّها الاجتماعي .

وقد جمعت كلتا المرجعيتين لأهل البيت (عليهم السلام) ، بحكم الظروف التي درسناها ، وجاءت النصوص النبوية الشريفة تؤكد ذلك باستمرار. والمثال الرئيسي للنصّ النبوي علىٰ المرجعية الفكرية حديث الثقلين إذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

«إني أوشك أن ادعىٰ فاجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله، حبلٌ ممدود من السماء الى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وأنَّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عَلَيَّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ...»(١٣٤) والمثال الرئيسي للنص النبوي علىٰ المرجعية في العمل القيادي الاجتماعي حديث الغدير حيث أخرج الطبراني بسند مجمع علىٰ صحته ، عن زيد بن أرقم قال : خطب رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) بغدير خم تحت شجرات فقال :

---

⇐ واستيعابه لكتاب الله تعالى واحاطته بخاصه وعامه ، وبناسخه ومنسوخه و بأحكامه وشرائعه، وبظاهره وباطنه وراجع مثلاً : الإتقان / السيوطي / ج ٤ / ص ٢٣٤ .

(١٣٤) المستدرك علىٰ الصحيحين / الحاكم النيسابوري / ج ٣ / ص ١١٩ ، قال : صحح علىٰ شرط الشيخين (الشهيد) وقد أخرجه مسلم في صحيحه /ج ٤ /ص ١٨٧٤ (الشهيد) وراجع: صحيح الترمذي/ج ١ /ص ١٣٠ (الشهيد).
السنن الكبرىٰ / النسائي / ج٥ / ص ٦٢٢ (الشهيد) .
مسند الإمام أحمد بن حنبل /ج ٤ / ص ٢١٧ ، ج ٣ / ص ١٤ /ص١٧ (الشهيد) وراجع أيضاً : سنن الدارمي /ج ٢ / ص ٤٣٢ ، باب فضائل القرآن طبعة دار إحياء السنة النبوية .

«أيها الناس يوشك أن ادعى فاجيب، واني مسؤول، وأنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت، وجاهدت، ونصحت فجزاك الله خيراً، فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنَّ جنته حق، وأنَّ ناره حقّ، وأن الموت حقّ، وأن البعث حقّ بعد الموت، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور؟ فقالوا: بلى نشهد بذلك قال:

اللهم اشهد. ثم قال: يا أيها الناس، إنَّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فهذا مولاه -يعني علياً- اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه»[١٣٥].

وهكذا جسّد هذان النصان النبويان الشريفان، في عدد كبير من أمثالهما، كلتا المرجعيتين في أهل البيت (عليهم السلام). وقد أخذ الاتجاه الاسلامي القائم علىٰ التعبد بنصوص النبي (صلىٰ الله عليه وآله) بكلا النصين، وآمن بكلتا المرجعيتين، وهو اتجاه المسلمين

---

(١٣٥) قال الشهيد الصدر في الهامش: وحديث الغدير مستفيض في كتب الحديث عند الشيعة والسنة معاً، وقد أحصىٰ بعض المحققين عدد رواة الحديث من الصحابة فكانوا أكثر من مائة، وعددهم من التابعين فكانوا أكثر من ثمانين تابعياً، وعددهم من الحفاظ في القرن الثاني الهجري فكانوا قرابة ستين شخصاً من حفاظ الحديث ورجالاته. لاحظ كتاب الغدير للعلامة الأميني. (الشهيد) أورد العلامة الأميني في كتابه الغدير عدة أحاديث عن زيد بن أرقم وبألفاظ مختلفة، ويبدو أن السيد الشهيد قد جمع بين تلك المرويات وأخرجها بهذا الشكل، راجع الغدير/ج١ / ص ٣١ - ٣٦، وراجع تخريج الحديث في الملحق، نذكر منها: سنن ابن ماجة/ج١ / المقدمة - الباب ١١.

ومسند الإمام أحمد بن حنبل /ج ٤ /ص ٢٨١، ص ٣٦٨ - طبعة دار صادر.

الموالين لأهل البيت. ولئن كانت المرجعية القيادية الاجتماعية لكل إمام تعني ممارسته للسلطة خلال حياته، فإنَّ المرجعية الفكرية حقيقة ثابتة مطلقة لا تتقيد بزمان حياة الأمام. ومن هنا كان لها مدلولها العملي الحيّ في كل وقت، فما دام المسلمون بحاجةٍ الى فهم محدد للإسلام، وتعرف علىٰ أحكامه وحلاله وحرامه ومفاهيمه وقيمه، فهم بحاجة الى المرجعية الفكرية المحددة ربانياً المتمثلة أولاً: في كتاب الله تعالىٰ، وثانياً: في سنة رسوله (صلىٰ الله عليه وآله) والعترة المعصومة من أهل البيت التي لا تفترق ولن تفترق عن الكتاب كما نصَّ الرسول(١٣٦) الأعظم (صلىٰ الله عليه وآله).

وأما الاتجاه الآخر في المسلمين الذي قام علىٰ الاجتهاد بدلاً عن التعبد بالنص، فقد قرّرَ في البدء عند وفاة الرسول الأعظم (صلىٰ الله عليه وآله) تسليم المرجعية القيادية التي تمارس السلطة الى رجالات من المهاجرين وفقاً لاعتبارات متغيرة ومتحركة ومرنة. وعلى هذا الأساس تسلّم أبو بكر السلطة، بعد وفاة النبي مباشرةً علىٰ أساس ما تمَّ من تشاور محدود في مجلس السقيفة(١٣٧)، ثم تولّىٰ الخلافة عمر بنص محدّد من أبي بكر(١٣٨) وخلفهما عثمان بنص غير محدّد من عمر(١٣٩)، وأدت المرونة بعد ثلث قرنٍ من وفاة الرسول

(١٣٦) حديث الثقلين المشهور ـ مرَّ تخريجه ـ.

(١٣٧) راجع نصوص السقيفة / تاريخ الطبري /ج٢ / ص ٢٣٤.

(١٣٨) راجع قصة استخلاف عمر / المصدر السابق.

(١٣٩) راجع قصة الستة الشورى في استخلاف عثمان / تاريخ الطبري /ج٢ /ص ٥٨٠ وراجع ←

القائد إلى تسلل أبناء الطلقاء[١٤٠] الذين حاربوا الإسلام بالأمس الى مراكز السلطة.

هذا فيما يتصل بالمرجعية القيادية التي تمارس السلطة، وأما بالنسبة الى المرجعية الفكرية فقد كان من الصعب إقرارها في أهل البيت، بعد أن أدّى الاجتهاد إلى انتزاع المرجعية القيادية منهم، لأنَّ إقرارها كان يعني خلق الظروف الموضوعية التي تمكنهم من تسلّم السلطة والجمع بين المرجعيتين، كما أنه كان من الصعب أيضاً من الناحية الأخرىٰ، الاعتراف بالمرجعية الفكرية لشخص الخليفة الذي يمارس السلطة، لأن متطلبات المرجعية الفكرية تختلف عن متطلبات ممارسة السلطة. فالإحساس بجدارة الشخص لممارسة السلطة والتطبيق، لا يعني بحالٍ الشعور بإمكانية نصبه إماماً فكرياً، ومرجعاً أعلىٰ بعد القرآن والسنة النبوية لفهم النظرية. لأنَّ هذه الإمامة الفكرية تتطلب درجةً عاليةً من الثقافة، والإحاطة واستيعاب النظرية، وكان من الواضح إنَّ هذا لم يكن متوفراً في أي صحابي بمفرده[١٤١] إذا قطع

---

الخطبة الشقشقية للإمام عليّ ـ الخطبة رقم ٣، نهج البلاغة ضبط الدكتور صبحي الصالح/ص ٤٨، وراجع شرحها لابن أبي الحديد /ج١ /ص ١٥١ وما بعدها / تحقيق أبو الفضل إبراهيم، وراجع: السقيفة والخلافة / عبد الفتاح عبد المقصود / ص ٢٦٤.

(١٤٠) الطلقاء: وصف يطلق علىٰ من أسلم زمن الفتح في مكة ومنهم أبو سفيان وابنه معاوية، راجع: تاريخ الطبري /ج٢ / ص ١٦١.
علماً بأنهما كانا من المؤلفة قلوبهم / راجع تاريخ الطبري /ج٢ / ص ١٧٥.

(١٤١) لاحظ احتياجهم الى مرجعية الإمام عليّ عليه السلام في موارد كثيرة وما صدر عنهم من عبارات تصرّح بذلك. راجع تاريخ الخلفاء / السيوطي / ص ١٧١ هذا مع عدم رجوع

النظر عن أهل البيت (عليهم السلام).

ولهذا ظلَّ ميزان المرجعية الفكرية يتأرجح فترةً من الزمن، وظل الخلفاء، في كثير من الحالات، يتعاملون مع الإمام عليّ، على أساس إمامته الفكرية، أو علىٰ أساس قريب من ذلك، حتىٰ قال الخليفة الثاني مرات عديدة: «لولا عليٌّ لهلك عمر، ولا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن»[١٤٢] ولكن بمرور الزمن، بعد وفاة النبي (صلىٰ الله عليه وآله)، وتعوّد المسلمين تدريجياً علىٰ النظر الى أهل البيت، والإمام علي، بوصفهم أشخاصاً اعتياديين ومحكومين، أمكن الاستغناء عن مرجعيتهم الفكرية أساساً، وإسنادها الى بديل معقول، وهذا البديل ليس هو شخص الخليفة، بل الصحابة، وهكذا وُضِعَ بالتدريج مبدأ مرجعية الصحابة، ككل، بدلاً عن مرجعية أهل البيت، وهو بديل يستسيغه النظر بعد تجاوز المرجعية المنصوصة، لأنَّ هؤلاء هم الجيل الذي رافق النبي (صلىٰ الله عليه وآله)، وعاشَ حياته وتجربته، ووعىٰ حديثه وسنته[١٤٣].

---

⇐ الإمام عليّ (عليه السلام) الى أي واحدٍ منهم في أمور الشريعة وأحكامها.

(١٤٢) الطبقات الكبرىٰ / ج ٢ / ص ٣٣٩.

(١٤٣) لاحظ أولاً تقييم الشهيد الصدر للجيل الأول من الصحابة، وهو تقييم ينمُّ عن مدى الموضوعية التي تمسك بها الشهيد الصدر (رضوان الله عليه) في تناوله لتاريخ المسلمين، ولدور الرعيل الأول.

وثانياً: إن جعل الصحابة بديلاً عن أهل البيت، لم يحظ بالقبول من كثير من أجلاء الصحابة كسلمان وعمار وأبي ذر والمقداد وغيرهم، بل بقي هؤلاء على ولائهم لأهل البيت.

وثالثاً: إنه و إن أصبحت سيرة الصحابة، أو قول الصحابي أمراً واقعاً، إلا أنه لم يتمّ ⇐

وبهذا فقد أهل البيت عملياً امتيازهم الرباني ، وأصبحوا يشكلون جزءاً من المرجعية الفكرية بوصفهم صحابة. وبحكم ما قدر أن عاشه الصحابة أنفسهم من اختلافات حادّة ، وتناقضات شديدة ، بلغت ، في كثير من الأحيان الى مستوىٰ القتال ، وهَدر كل فريقٍ دمَ الفريق الآخر وكرامته ، واتهامه بالانحراف والخيانة(١٤٤). وبحكم هذه الاختلافات والاتهامات بين صفوف الإمامة الفكرية ، والمرجعية العقائدية نفسها ، نشأت ألوانٌ من التناقض العقائدي والفكري(١٤٥) في جسم الأمة الاسلامية ، كانعكاسات لأوجه التناقض في داخل تلك الإمامة الفكرية التي قررها الاجتهاد.

---

⇐ التسليم بحجية أقوالهم ، وحسبك أن سيرة الشيخين عرضت على الإمام علي (عليه السلام) يوم الشورىٰ، فلم يقبل بها، وراجع المناقشة العلمية الشافية في الاصول العامة للفقه المقارن / العلامة محمد تقي الحكيم /ص ١٣٣ ـ ١٤٢ .

(١٤٤) راجع اتهام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد بأنه قتلَ رجلاً مسلماً ونزا على امرأته ، تاريخ الطبري /ج٢ / ص ٢٧٤ ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(١٤٥) راجع مناهج الاجتهاد / د . محمد سلام مدكور / حول نشوء الفرق والمذاهب الإسلامية الكلامية والفقهية ، والنزاعات الحاصلة بينهم .
وراجع أيضاً : الملل والنحل /الشهرستاني /ج١ / ص ١٥ وما بعدها .

# المبحث الثالث

## التشيّع الروحي والتشيّع السياسي

أود أن أشير هنا الى نقطةٍ أعتبر توضيحها علىٰ درجةٍ كبيرة من الأهمية ، وهي أن بعض الباحثين يحاولُ التمييز بين نحوين من التشيع، أحدهما ( التشيع الروحي ) ، والآخر ( التشيع السياسي ) ، ويعتقد أن التشيع الروحي أقدمُ عهداً من التشيع السياسي(١٤٦) ، وأنّ أئمة الشيعة الإمامية ـ من أبناء الحسين ( عليه السلام ) ـ قد اعتزلوا ، بعد مذبحة كربلاء ، السياسة ، وانصرفوا الى الإرشاد والعبادة ، والانقطاع عن الدنيا .

والحقيقة أنَّ « التشيّع » لم يكن في يوم من الأيام منذ ولادته مجرد اتجاه روحي بحت ، وإنما وُلد التشيع في أحضان الإسلام

---

(١٤٦) راجع : الصلة بين التصوف والتشيع / الدكتور الشيبي / ج١ / ص ١٢ .

وراجع أيضاً : مقدمة في تاريخ صدر الإسلام / الدكتور عبد العزيز الدوري / ص ٧٢ .

بوصفه إطروحة مواصلة الإمام عليّ (عليه السلام) للقيادة بعد النبي فكرياً واجتماعياً وسياسياً علىٰ السواء كما أوضحنا سابقاً عند استعراض الظروف التي أدّت الى ولادة التشيع، ولم يكن بالإمكان ـ بحكم هذه الظروف التي استعرضناها ـ أن يفصل الجانب الروحي عن الجانب السياسي في إطروحة التشيّع تبعاً لعدم انفصال أحدهما عن الآخر في الإسلام نفسه.

فالتشيع إذن، لا يمكن أن يتجزأ إلا إذا فقد معناه كاطروحة لحماية مستقبل الدعوة بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، وهو مستقبل بحاجةٍ الى المرجعية الفكرية والزعامة السياسية للتجربة الإسلامية معاً. وقد كان هناك ولاء واسع النطاق للإمام عليّ (عليه السلام) في صفوف المسلمين باعتباره الشخص الجدير بمواصلة دور الخلفاء الثلاثة في الحكم، وهذا الولاء هو الذي جاء به الى السلطة عقيب مقتل الخليفة عثمان(١٤٧)، ولكن هذا الولاء ليس تشيّعاً روحياً ولا سياسياً، لأن التشيّع يؤمن بعليٍّ كبديل عن الخلفاء الثلاثة، وخليفة مباشر للرسول (صلىٰ الله عليه وآله)، فالولاء الواسع للإمام في صفوف المسلمين أوسع نطاقاً من التشيع الحقيقي الكامل، وإنْ نما التشيّع الروحي والسياسي داخل إطار هذا الولاء، فلا يمكن أن نعتبره مثالاً علىٰ التشيّع المجزّأ. كما أنَّ الإمام عليّ (عليه السلام) يتمتع بولاء

---

(١٤٧) راجع: تاريخ الطبري /ج ٢ /ص ٦٩٦ ومابعدها، وراجع أيضاً وصف الحالة في خطبة الإمام علي من قوله: «فماراعني إلا والناس كعُرف الضبع اليّ ينثالون عليّ من كل جانبٍ... مجتمعين حولي كربيضة الغنم». نهج البلاغة /ضبط الدكتور صبحي الصالح /ص ٤٨ ـ الشقشقية.

روحي وفكري من عدد من كبار الصحابة في عهد أبي بكر وعمر من قبيل سلمان وأبي ذرّ وعمار وغيرهم، ولكن هذا لا يعني أيضاً تشيّعاً روحيّاً منفصلاً عن الجانب السياسي بل إنه تعبيرٌ عن إيمان اولئك الصحابة بقيادة الإمام عليّ للدعوة بعد وفاة النبي فكرياً وسياسياً وقد انعكس إيمانهم بالجانب الفكري من هذه القيادة بالولاء الروحي المتقدم وانعكس إيمانهم بالجانب السياسي منها بمعارضتهم لخلافة أبي بكر[١٤٨] وللاتجاه الذي أدّىٰ الى صرف السلطة عن الإمام الى غيره.

ولم تنشأ في الواقع النظرة التجزيئية الى التشيّع الروحي بصورة منفصلةٍ عن التشيّع السياسي، ولم تولد في ذهن الإنسان الشيعي، إلا بعد أن استسلم الى الواقع، وانطفأت جذوة التشيّع في نفسه كصيغة محددة لمواصلة القيادة الإسلامية في بناء الأمة، وإنجاز عملية التغيير الكبيرة التي بدأها الرسول الكبير، وتحولت الى مجرد عقيدة يطوي الإنسان عليها قلبُه، ويستمد منها سلوته وأمله.

وهنا نصل إلى ما يقال من أَنَّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من أبناء الحسين (عليه السلام) اعتزلوا السياسية وانقطعوا عن الدنيا، فنلاحظ أنَّ التشيّع بعد أن فهمناه كصيغة لمواصلة القيادة الإسلامية، والقيادة الإسلامية لا تعني إلا ممارسة عملية التغيير التي بدأها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، لتكميل بناء الأمة علىٰ أساس الإسلام، فليس من الممكن أن نتصور تنازل الأئمة عن الجانب

(١٤٨) راجع ما نقله الطبرسي في الاحتجاج /ج١ /ص ٧٥.

السياسي إلا إذا تنازلوا عن التشيّع. غير أنَّ الذي ساعد علىٰ تصور اعتزال الأئمة وتخليهم عن الجانب السياسي من قيادتهم، ما بدا من عدم إقدامهم علىٰ عمل مسلح ضد الوضع الحاكم مع إعطاء الجانب السياسي من القيادة معنى ضيقاً لا ينطبق إلا علىٰ عملٍ مسلح من هذا القبيل.

ولدينا نصوص عديدة عن الأئمة (عليهم السلام) توضح أَنَّ إمام الوقت دائماً كان مستعداً لخوض عملٍ مسلح إذا وجدت لديه القناعة بوجود الأنصار والقدرة علىٰ تحقيق الأهداف الإسلامية من وراء ذلك العمل المسلح[١٤٩].

ونحن إذا تتبعنا سير الحركة الشيعية، نلاحظ أن القيادة الشيعية المتمثلة في أئمة أهل البيت، كانت تؤمن بأن تسلّم السلطة وحده لا يكفي، ولا يمكن من تحقيق عملية التغيير إسلامياً، مالم تكن هذه السلطة مدعمة بقواعد شعبية واعية تعي أهداف تلك السلطة وتؤمن بنظريتها في الحكم، وتعمل في سبيل حمايتها، وتفسير مواقفها للجماهير، وتصمد في وجه الأعاصير.

وفي نصف القرن الأول بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) كانت القيادة الشيعية بعد إقصائها عن الحكم، تحاول باستمرار استعادة الحكم بالطرق التي تؤمن بها، لأنها كانت تؤمن بوجود قواعد

---

(١٤٩) راجع: أصول الكافي /ج٢ /ص ١٩٠ ـ باب في قلة عدد المؤمنين / المطبعة الإسلامية طهران / ١٣٨٨ هـ.

شعبيه واعية، أو في طريق التوعية من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، ولكن بعد نصف قرنٍ، وبعد أن لم يبق من هذه القواعد الشعبية شيء مذكور، ونشأت أجيال مائعة[١٥٠] في ظل الانحراف، لم يعد تسلّم الحركة الشيعية للسلطة محققاً للهدف الكبير، لعدم وجود القواعد الشعبية المساندة بوعي وتضحية، وأمام هذا الواقع كان لابدَّ من عملين:

**أحدهما**: العمل من أجل بناء هذه القواعد الشعبية الواعية التي تُهيء أرضيةً صالحةً لتسلّم السلطة.

**وثانيهما**: تحريك ضمير الأمة الإسلامية وإرادتها، والاحتفاظ للضمير الإسلامي والإرادة الإسلامية بدرجةٍ من الحياة والصلابة تحصن الأمة ضد التنازل المطلق عن شخصيتها وكرامتها للحكام المنحرفين.

والعمل الأول هو الذي مارسه الأئمة (عليهم السلام) بأنفسهم، والعمل الثاني، هو الذي مارسه ثائرون علويون كانوا يحاولون

---

(١٥٠) راجع ما أحدثته السياسة الأموية في أوساط الأمة، من نشر اللهو، وإشاعة المجون وشرب الخمر، ثم استخدام سياسية البطش والقمع ضد كل المناوئين.
راجع في هذه القضية مروج الذهب / المسعودي / ج ٣ / ص ٢١٤ وما بعدها.
وراجع: العقد الفريد / ابن عبد ربه / ج٥ / ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢.
وراجع: الأغاني / أبي الفرج الأصفهاني / ج٧ / ص ٦ وما بعدها. طبعة دار الفكر بيروت / ط١ / ١٤٠٧هـ
وراجع: حول عبث الأمويين في الأموال: العدالة الاجتماعية في الإسلام / سيد قطب.

بتضحياتهم الباسلة أن يحافظوا علىٰ الضمير الإسلامي والإرادة الإسلامية؛ وكان الأئمة (عليهم السلام) يسندون المخلصين منهم.

قال الإمام عليّ بن موسى الرضا للمأمون وهو يحدثه عن زيد ابن عليّ الشهيد: «أنه كان من علماء آل محمد، غضب لله تعالى فجاهدَ أعداءه، حتى قتل في سبيله، ولقد حدثني أبي موسىٰ بن جعفر أنه سمع أباه جعفر بن محمد يقول: رحم الله عمي زيداً، إنه دعا الى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفىٰ بما دعا إليه ... إن زيد بن عليّ لم يدعُ ما ليس له بحق، وإنه كان أتقىٰ لله من ذلك، انه قال: ادعوكم الى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله)»[(١٥١)].

وفي رواية انه ذكر بين يدي الإمام الصادق من خرج من آل محمد، فقال: «لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد، ولوَدَدتُ أنَّ الخارجي من آل محمد خرج وعَلَيَّ نفقة عياله»[(١٥٢)].

فترك الأئمة إذن العمل المسلح بصورة مباشرة ضد الحكام المنحرفين لم يكن يعني تخليهم عن الجانب السياسي من قيادتهم

---

(١٥١) وسائل الشيعة / الحر العاملي / تحقيق عبدالكريم الشيرازي/ج١١/ص ٣٩/ط٥/ المكتبة الإسلامية ـ طهران / ١٤٠١ هـ (الشهيد). وراجع الطبعة المحققة / مؤسسة آل البيت / قم ج١٥ / ص ٥٤ كتاب الجهاد.

(١٥٢) السرائر / لابن إدريس /ج٣ / ص ٥٦٩ الرواية عن أبي عبدالله السيّاري عن رجل من الأصحاب / مؤسسة النشر الإسلامي / قم (الشهيد).

وانصرافهم الى العبادة ، وإنما كان يعبرُ عن اختلاف صيغة العمل الاجتماعي التي تحددها الظروف الموضوعية ، وعن إدراك معمّق لطبيعة العمل التغييري وأسلوب تحقيقه .

**تمّ بحمد الله تعالى وعونه وتوفيقه تحقيق الكتاب والتعليق عليه**

**محرم الحرام / ١٤١٤ هـ**

**د . شرارة**

# ملحق البحث

## الإعداد التربوي والفكري لولاية عليّ (عليه السلام) و خلافته

بقلم

الدكتور عبدالجبار شراره

## المبحث الأول

❀ الإعداد التربوي والفكري لعلي (عليه السلام)

## المبحث الثاني

❀ إعداد الأُمة وتهيئتها لتولي عليّ (عليه السلام)

الخلافة

## المبحث الثالث

❀ مدخلية اختصاص عليّ (عليه السلام) بالمعرفة

القرآنية في إعداده للخلافة

## تمهيد

إنَّ عملية الإعداد الفكري والتربوي ( الرسالي ) لولاية عليّ بن أبي طالب وخلافته، التي قام بها الرسول الأعظم ( صلىٰ الله عليه وآله ) كانت تسير في خطين متوازيين ومتكاملين، وهما إعداد عليّ ( عليه السلام ) وإعداد الأُمة في آن واحدٍ. فبينما نجدُ الرسول القائد ( صلى الله عليه وآله ) يتعهد علياً برعايةٍ خاصة، تربيةً وتثقيفاً، فكرياً وعقائدياً، وفق برنامجٍ دقيق ويومي متواصل، نجده صلوات الله عليه يتولّىٰ تهيئة ذهنية الأُمة المسلمة، وتربيتها فكرياً وعقائدياً أيضاً لترسيخ ولاية عليّ، وتأكيد أهليته لقيادة المسيرة الإسلامية، والتجربة الإسلامية بعده مباشرةً. وقد كان تدخل الوحي المباشر في كثير من الموارد والمناسبات ـ كما سيأتي ـ يصبّ هو الآخر في هذا الأتجاه.

لقد كان قرآن ينزلُ دائماً يحمل الإشادة بفضل عليّ تارةً، ويدلُّ علىٰ خصائصه تارةً، ويشخّصه دون غيره إلى أن يصل الأمر إلى تعليق إكمال تبليغ الرسالة علىٰ الإعلان عن ولايته، والتصريح بها

للأُمة ـ كما سيأتي البيان ـ.

هذا ما سنحاول استيضاحه وتوثيقه في هذه الدراسة التي نلحقها بهذا البحث العميق والأصيل للشهيد الصدر (رضوان الله تعالى عليه).

وسنوزع هذه الدراسة علىٰ ثلاثة مباحث:

نعرض في المبحث الأول ؛ عملية الإعداد الفكري والتربوي لعلي (عليه السلام) من أجل تولي مهمة القيادة بعد النبي (صلىٰ الله عليه وآله).

ونعرض في المبحث الثاني عملية الإعداد الفكري والتربوي للأمة المسلمة من أجل تلك المهمة نفسها.

ونعرض في المبحث الثالث ، مدخلية إفراد عليّ بعلم القرآن خاصةً بتلك المهمة نفسها.

وسنحاول في هذه الدراسة الموجزة تسليط الأضواء علىٰ تلك الحقائق معتمدين أصول البحث العلمي وقواعده ، بعيداً عن المبالغات والتمحلات ، مستندين إلى المصادر الحديثية والتفسيرية من مصنفات العلماء والمحدّثين والباحثين الفضلاء وخاصة من أهل السنة.

**نستمد العون من الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل.**

# المبحث الأول

## الإعداد الفكري والتربوي لعلي (عليه السلام)

نستطيع القول بكل تأكيد أنَّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، قد قامَ بعملية الإعداد الرسالي «التربوي والفكري» لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) منذ صدع بالوحي، وكان صلوات الله عليه يضع الخطوات العملية من أجل بلوغ الغاية المتوخاة من ذلك، وهي تولّي عليّ للمهمة القيادية «الاجتماعية والسياسية» بعده مباشرةً. ويظهر لنا من سير الأحداث، وما تناقلته كتبُ السيرة والتواريخ، وما نقله الرواة الثقاة، أنَّ ذلك تمَّ عن طريقين:

**الأول**: تعهد الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) نفسه بكفالة عليّ (عليه السلام) منذ صغره، وتولّي تربيته ورعايته، والحرص البالغ علىٰ أن لا يفارقه إلا لضرورة.

**والثاني**: إفراد عليّ (عليه السلام) من بين سائر الصحابة

بمقامات وعلوم ومواقف ترتبط بوجود الإسلام وبمستقبله.

**فأما أولاً**: فإنّ كتب السيرة والرواية قد تكفلت ببيان تفصيلات وافية في هذا الصدد، حتىٰ أن أمر تعهد الرسول الأعظم (صلىٰ الله عليه وآله) لعلي بكفالته منذ صغره، وتربيته في بيته من أوضح ما تزخر به سيرته الشريفة[١]، ويكفي أن نوردَ ما بيّنه الإمام عليّ (عليه السلام) نفسه في خطبته الشهيرة بالقاصعة إذ يقول: «وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حِجره وأنا وَلدٌ، يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويُمسُّني جسده، ويُشِمني عَرْفَه. وكان يمضغ الشيء ثم يُلقمنيه، وما وجَدَ لي كذبةً في قولٍ، ولا خطلةً في فعلٍ... ولقد كنتُ أتّبعهُ اتّباعَ الفصيل اثرَ اُمِه، يرفع لي في كل يومٍ من أخلاقه عَلَماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاورُ في كل سنةٍ بحراء فأراه ولا يراه غيري. ولم يجمع بيتٌ واحد يومئذ في الإسلام غيرَ رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) وخديجةَ وأنا، أرى نور الوحي والرسالة وأشمُّ ريح النبوة...»[٢].

إنَّ هذه الصورة التي ينقلها لنا الإمام عليّ (عليه السلام) نفسه عن كيفية وطريقة التعامل التي كان يتبعها النبي معه، تكشف لنا عن حقيقة وأبعاد الهدف الأعظم من ذلك.

---

(١) السيرة النبوية / ابن هشام / ج١ / ص ٢٤٦، تحقيق مصطفىٰ السقا وآخرون.

(٢) نهج البلاغة / ضبط الدكتور صبحي الصالح / خطبة ١٩٢ / ص ٣٠٠ / ٣٠١

إنَّ هذه التربية المخصوصة لعليّ (عليه السلام)، والرعاية الفائقة، والحرص علىٰ أن يكون عليٌّ قريباً جداً من أنوار الوحي، وأن يكون متعرضاً لنفحات النبوة، وأن يكون ثالث ثلاثة في بيت الرسول القائد حيث مهبط الوحي، فيتلقىٰ في هذا المكان المشرف الدروس الأولىٰ، والتوجيهات النبوية المباشرة، فينعكس ذلك علىٰ تكوينه الفكري والعقيدي «فلا يسجد لصنم قط»[٣] ولا يخالط عقله لحظة شرك، وينعكس علىٰ سلوكه «فلا كذبة في قول، ولا خطلة في فعل...». إنَّ هذا ليكشف عن إعدادٍ تربوي خاص بلا أدنى شك.

ومما يلاحظ في هذا الصدد أن تعهد الرسول القائد (صلىٰ الله عليه وآله) لعليٍّ بالرعاية والعناية الخاصتين لم يقتصر علىٰ فترة الطفولة والصبا، ولم يتوقف عند مرحلةٍ معينة لأننا نجدُ أن الرسول القائد كان حريصاً علىٰ أن يكون عليٌّ إلى جانبه دائماً لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً، كما ورد عن عليّ (عليه السلام) قال: «كان لي مع النبي (صلىٰ الله عليه وآله) مدخلان، مدخل بالليل، ومدخل بالنهار...»[٤] بل نجد الرسول القائد لا يفارق عليّاً ولا يتركه إلا لضرورةٍ تتصل بحفظ حياة الرسول نفسه أو بحفظ الدعوة الإسلامية وحمايتها من أخطار محتملة.

---

(٣) مناقب أمير المؤمنين /ج٢ / ص٥٤٠ / حديث رقم ١٠٤٥ عن ابي سعيد الخدري، وراجع الروض الآنف / السهيلي / ج٣ / ص ١٦ أول من صلىٰ عليّ/الهامش (١) قال: و إليه ذهب سلمان وخباب وجابر وأبو سعيد كذا في الطبراني.

(٤) السنن الكبرىٰ / الخصائص / النسائي/ج٥ / ص١٤١ ح ٨٥٠٢.

ونذكر علىٰ كلِّ حالةٍ مثالاً واحداً، لتأكيد المطلب.

أ ـ المورد الأول الذي يتصل بحفظ حياة الرسول القائد نفسه، وهو عندما تركَ رسولُ الله عليّاً ليبيت في فراشه ليلة هجرته[٥] المباركة إلى المدينة، إيهاماً لقريش المترصدين، وإنجاءً لنفسه صلوات الله عليه وآله وسلم من مؤامرتهم لقتله[٦]. وقد نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللهِ...﴾[٧] كما ذكره الفخر الرازي[٨].

ب ـ المورد الآخر الذي يتصل بحفظ الرسالة وحمايتها؛ وهو عندما أراد رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) أن يخرج إلى بعض مغازيه ـ قيل تبوك ـ ترك علياً في المدينة خليفةً[٩] عنه، لأنَّ ابن أُبيّ بن سلول رأس المنافقين كان قد تخلف في المدينة، فاقتضىٰ الموقف أن يُترك عليٌّ لمواجهة أي تطور غير محسوب قد يهدد دولة الرسول القائد في المدينة، ذكر الطبري: «أنه لما سارَ رسول الله ـ إلى تبوك ـ تخلّف عنه عبدالله بن أُبيّ فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب ـ وكان عبدالله بن أُبيّ أخا بني عوف بن الخزرج ـ وعبدالله بن نَبْتَل أخا بني عمرو بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بني قينقاع،

---

(٥) سيرة ابن هشام /ج٢ / ص ٩٥. مطبعة الحجازي / القاهرة / ١٩٣٧

(٦) المصدر السابق.

(٧) البقر / ٢٠٧.

(٨) التفسير الكبير /ج٥ / ص ٢٠٤ ـ نشر دار الكتب العلمية ـ طهران ـ ط٣.

(٩) صحيح الترمذي /ج٥ /ص ٥٩٦ ـ مطبعة دار الفكر ـ تحقيق كمال الحوت.

وكانوا ـ أي المذكورون ـ من عظماء المنافقين، وكانوا ممن يكيد الإسلامَ وأهله.

قال الطبري: وفيهم ـ فيما حَدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن اسحاق، عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصري ـ أنزل الله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ...﴾[١٠] ... وهنا أدرك المنافقون أنَّ بقاء عليٍّ في المدينة سيفوّت الفرصة عليهم، قال الطبري في تتمة الخبر: «فأرجف المنافقون بعلي بن أبي طالب، وقالوا: ما خلّفه إلا استثقالاً له وتخففاً منه. فلما قال ذلك المنافقون، أخذ عليٌّ سلاحه ثم خرج حتىٰ أتى رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) وهو بالجُرف ـ موضع علىٰ مسافة من المدينة ـ فقال: يا نبي الله؛ زعم المنافقون أنّك إنما خلفتني؛ أنّك استثقلتني وتخففت مني! فقال: كذبوا، ولكني إنما خلفتك لما ورائي ... أفلا ترضىٰ أن تكون مني ـ يا عليّ ـ بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبيَّ بعدي!، فرجع عليٌّ إلىٰ المدينة ومضىٰ رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) علىٰ سفره»[١١].

وقد نقل البخاري[١٢] ومسلم[١٣] حديث المنزلة هذا، وفي الرواية عن سعد بن أبي وقاص: قال: خلّف رسولُ الله عليّاً ـ في بعض

---

(١٠) التوبة / ٤٨.

(١١) تاريخ الطبري /ج٢ /ص١٨٢ /١٨٣؛ البداية والنهاية /ابن كثير /ج٧/ص ٣٤٠ وما بعدها.

(١٢) راجع التاج الجامع للأصول / الشيخ ناصف / ج٣ / ص ٣٣٢ قال: رواه الشيخان والترمذي.

(١٣) صحيح مسلم /ج٤ /ص ١٨٧٣.

مغازيه ـ في المدينة ، فقال عليٌّ: يا رسول الله قد خلفتني مع النساء والصبيان؛ فسمعت رسول الله يقول : أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبوةَ بعدي...»[١٤] ومن الأمور الملفتة للنظر أن الرسول الأعظم (صلىٰ الله عليه وآله) كان يعبّرُ عن تلهفه وهواجسه عندما يغيب عنه عليٌّ (عليه السلام) ، ويتطلع إلى رؤيته والاطمئنان عليه ، فعن أمّ عطية علىٰ ما أخرجه ابن كثير[١٥] وحسنّة ، قالت : بعثَ النبيُّ (صلىٰ الله عليه وآله) جيشاً ، وفيهم عليٌّ . قالت: فسمعتُ النبي (صلىٰ الله عليه وآله) يقول: « اللهمَّ لا تمتني حتىٰ تريني عليّاً »[١٦] .

ويصلُ الأمر أحياناً إلى أنَّ النبي (صلىٰ الله عليه وآله) عندما يُخصُّ بأكلةٍ لا يطيق أن يأكلها لوحده ، ثم هو لا يكتفي بان يدعو الله إلى أن يشاركه عليٌّ بتلك الأكلة ، بل يجعلها مناسبةً لبيان مقام علي (عليه السلام) ومنزلته ، فعن أنس بن مالك قال: «كان عند النبي طيرٌ ـ وفي بعض الروايات طائر مشوي ـ[١٧] فقال (صلىٰ الله عليه وآله) : « اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير ، فجاء عليٌّ فأكل معه ... »[١٨] . ومن الملفت للنظر أن بعض الروايات تنقل أن

---

(١٤) صحيح الترمذي /٥ /ص ٥٩٦ .
(١٥) البداية والنهاية / ابن كثير /ج٧ / ص ٣٥٧ .
(١٦) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول / الشيخ منصور عليّ ناصف /ج٣ / ص ٣٣٤ دار احياء الكتب العربية ـ طبعة باموق استانبول ط٣ / ١٩٦١ .
(١٧) البداية والنهاية /ج٧ /ص ٣٥١ .
(١٨) التاج الجامع للأصول / السابق /ج٣ / ص ٣٣٦ .

محاولةً جرت لصرف عليّ عند مجيئه إلى بيت الرسول (صلىٰ الله عليه وآله) بعد دعوته تلك، ولكنها فشلت بتدخل الرسول نفسِه على ما نقله ابن كثير[١٩].

ويستفاد من هذه الرواية ـ كما هو ظاهر ـ أن النبي (صلىٰ الله عليه وآله) أراد أن يُرسّخ ويؤكد أنَّ علياً هو أحب الخلق إلى الله تعالى أيضاً[٢٠].

كل ذلك يدلُّ بما لا يدعُ مجالاً للشك علىٰ أنَّ التربية التي خصَّ بها نبينا محمد (صلىٰ الله عليه وآله) علياً، كانت تهدف الى إعداده وتهيئته لمسؤولية قيادة الدعوة، وليس لمجرد أن يكون أحد أركانها وكوادرها الأساسية. إذ وجدنا الرسول القائد يتعهد جمعاً من صحابته بالتربية والتثقيف والرعاية، ولكن ليس بمثل المستوى والطريقة والأسلوب والعناية التي اتبعت مع عليٍّ، مما يكشف أن المسؤولية المنوطة بعليّ هي أكبر بكثير من مسؤولية الآخرين.

**أما الاسلوب الثاني**: وهو افرادُ عليٍّ، واختصاصه بالعلوم، وخاصةً القرآنية، وبالمواقف الحاسمة في تاريخ الرسول والرسالة، وتثقيفه تثقيفاً مركزّاً بأحكام الشريعة؛ فإنّ هناك شواهد كثيرة، وادلةٌ وفيرةٌ عليه، ومن يراجع كتب الحديث والسيرة والتواريخ[٢١] يظفر بالكثير جداً.

---

(١٩) البداية والنهاية / ص ٣٥١ / ٣٥٢.

(٢٠) غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول /ج٣ / ص ٣٣٦، الهامش (٦). قال عن الحديث «وفيه أنَّ علياً رضي الله عنه أحب الخلق إلى الله تعالىٰ».

(٢١) راجع مختصر تاريخ ابن عساكر /لابن منظور /ج١٧ /ص٣٥٦ ومابعدها، ج١٨ إلى ص٥١.

ونذكر أمثلةً وشواهد عليه تثبيتاً للمطلب:

لقد تولّىٰ رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) بنفسه، وبأمرٍ إلهي مهمة الإعداد الفكري والعلمي لعليٍّ، وتزويده دون سواه بالمعرفة القرآنية الشاملة، وبأصول العلوم وينابيعها، وبالحكمة وآدابها، وبتفهيم أحكام الشريعة حلالها وحرامها.

جاء عن عليٍّ (عليه السلام) قوله: «علمني رسولُ الله (صلىٰ الله عليه وآله) ألف باب من العلم، يفتح لي من كل باب ألف باب ...»[٢٢]. وكان عليٌّ (عليه السلام) تارةً يبادر هو بالحصول علىٰ المعارف والعلوم والأحكام من الرسول الأعظم، وتارةً يبادر الرسول (صلىٰ الله عليه وآله) نفسه بذلك؛ قال عليٌّ (عليه السلام): «كنت إذا سألتُ النبي (صلىٰ الله عليه وآله) أعطاني، وإذا سكتُّ ابتدأني..»[٢٣]. ثم قال مرةً: «إنَّ الله وهبَ لي لساناً سؤولاً، وقلباً عقولاً ...»[٢٤] وفي حديث طويل تحدث الإمام عليّ (عليه السلام) في هذا الصدد قائلاً: «ما نَزلت علىٰ رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) آيةٌ إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصّها وعامّها، ودعا الله لي أن يعطيني فهمها وحفظها فما نسيتُ آية من كتاب الله تعالى، وعلماً أملاه عليَّ وكتبته

(٢٢) الارشاد / الشيخ المفيد / رواية عن عبدالله بن مسعود / ص ٢٢.

(٢٣) التاج الجامع للأصول /ج٣ / ص ٣٣٥، تاريخ الخلفاء / السيوطي / ص ١٧٠، الصواعق المحرقة / ابن حجر / ص ١٢٦ / ١٢٧.

(٢٤) الاتقان / السيوطي / ج٤ / ص ٢٣٤.

منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك رسول الله علماً علّمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمرٍ ولا نهي كان أو يكون.. إلا علمنيه وحفظته، ولم أنسَ حرفاً واحداً منه...»[٢٥].

وقد أورد السيوطي أن مُعَمر روىٰ عن وهب عن أبي الطفيل قال: شهدتُ عليّاً يخطب وهو يقول: «سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أحدثكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلمُ أبليلٍ نزلت أم في نهار أم في سهل أم في جبلٍ...»[٢٦].

قال السيوطي: «إنَّ أحداً من الصحابة لم يجروْ علىٰ أن يقول سلوني غير عليّ...»[٢٧].

وكل ما تحدث به عليٌّ، ونقله لنا التاريخ نقلاً أميناً، شهد به أجلاء الصحابة وأقرَّ به علماؤهم وكبارهم؛ فقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود أنه قال: «إنَّ القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف، ما منها حرفٌ إلا وله ظهرٌ وبطن، وإنَّ عليّ بن أبي طالب عنده من الظاهر والباطن...»[٢٨]. وجاء عن ابن عباس أنه قال: «والله لقد

(٢٥) نهج البلاغة / خطبة ٢١٠ ص ٣٢٥. ضبط الدكتور صبحي الصالح ١١٠، راجع أيضاً بحار الأنوار / المجلسي / ج٩٢ / ص ٩٩ طبعة طهران.

(٢٦) الاتقان / ج٤ / ص٢٣٣ وراجع طبقات ابن سعد / ج٢ / ص ٣٣٨، الصواعق المحرقة ابن حجر / ص ١٢٧.

(٢٧) تاريخ الخلفاء / ص ١٦٦.

(٢٨) نقله في الاتقان / السيوطي / ج٤ / ص ٢٣٣.

أُعطي عليٌّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم»[٢٩]، وورد عنه أيضاً قوله: «كنا نتحدث أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) عهد إلى عليٍّ سبعين عهداً، لم يعهد إلى غيره»[٣٠]. وعملياً كان عليٌّ مرجع الصحابة في كل ما يعترضهم من المسائل العلمية والمشاكل الإدارية، والمعضلات القضائية. فلقد ثبتَ عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أنه قال: «لولا عليٌّ لهلك عمر»[٣١]، وأنه كان يقول: «أعوذ بالله من معضلةٍ، ولا أبو حسن لها...»[٣٢]، وثبتَ عنه أنه قال: «أقضانا عليٌّ...»[٣٣]. والقضاء يعني العِلم بكل أحكام الشرع.

---

(٢٩) ينابيع المودة / القندوزي / ج١ / ص ٦٨ /٦٩.

(٣٠) حلية الأولياء / ج١ /ص ٦٨ ـ دار الكتب العربية / بيروت / ط٥.

(٣١) البداية والنهاية / ابن كثير / ج٧ / ص ٣٥٩، وراجع تاريخ الخلفاء / السيوطي / ص ١٧١.

(٣٢) المصدر السابق / ج٧ / ص٣٧٣، الصواعق المحرقة / لابن حجر / ص ١٢٧.

(٣٣) الطبقات الكبرى /ابن سعد / ج٣/ص٣٣٩ / ط٢ دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٨ هـ.

# المبحث الثاني

## إعداد الأُمة وتهيئتها لتولّي عليّ (عليه السلام) الخلافة

لقد بدأت عملية إعداد الأُمة وتربيتها لقبول واستقبال خلافة عليّ (عليه السلام)، وقيادته للمسيرة الإسلامية بعد النبي (صلىٰ الله عليه وآله)، منذ وقتٍ مبكر، فعندما أُمر النبي الأكرم بالإنذار والتبليغ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾[34] قال الطبري: وكان قبل ذلك في السنين الثلاث من مبعثه إلى أن أمر باظهار الدعاء إلى الله، مستسراً مخفيا أمره (صلىٰ الله عليه وآله)، وأنزل عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[35] ثم أخرج الطبري روايةً عن عبدالله بن عباس عن عليّ بن أبي طالب، قال: «لما نزلت هذه الآية علىٰ رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ دعاني رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله)، فقال لي يا عليّ إنَّ الله أمرني

---

(٣٤) الحجر / ٩٤.

(٣٥) الشعراء / ٢١٤.

أن أنذر عشيرتي الأقربين ، فضقت بذلك ذرعاً ، وعرفتُ أني متىٰ أُباديهم بهذا الأمر أرىٰ منهم ما أكره ، فصمتُّ عليه حتىٰ جاءني جبريل ، فقال يا محمد إلّا تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربُّك ؛ فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجلَ شاة ، وأملأ لنا عسّاً من لبنٍ ثم اجمع لي بني عبدالمطلب حتىٰ أُكلّمهم وأُبلغهم ما أُمرتُ به ، ففعلتُ ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه أبو طالب والحمزة والعباس وأبو لهب ... »
وتكررت المحاولة فلما أكلوا وشربوا قال الطبري : « فتكلم رسول الله فقال : يا بني عبدالمطلب إني والله ما أعلمُ شاباً في العرب جاء قومَه بأفضل ما جئتكم به ؛ إني جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالىٰ أن ادعوكم إليه ، فأيكم يؤازرني علىٰ هذا الأمر علىٰ أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم . قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، فقلتُ وأني لأحدثهم سنّاً ، وأرمصهم عيناً ... أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي ثم قال : إنَّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا ، قال ـ أي عليّ (عليه السلام) ـ فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمعَ لابنك وتطيع... »(٣٦).

ومن هذه الرواية يتضح لنا أن أول عملية لإعداد الذهنية من

---

(٣٦) تاريخ الطبري / ج٣ / ص ٢١٨ / ٢١٩ / المطبعة الحسينية بمصر / الطبعة الاولى ، راجع تفصيل الرواية وأسانيدها في ما نزل من القرآن في عليّ / لأبي نعيم / جمع الشيخ المحمودي / ص ١٥٥ . وراجع تفسير الخازن /ج٣ / ص ٣٧١ طبعة دار المعرفة /بيروت .

أجل قبول عليّ ، وصيّاً وخليفةً ، قد تمت في الوسط الخاص ، ( عشيرة النبي المقربين ) وكان ذلك جنباً إلى جنب مع التبشير برسالته والإعلان عن نبوته وبعثته صلوات الله وسلامه عليه.

ثم اتخذت عملية إعداد الأُمة منحىً آخر:

فقد بدأ القرآن يتنزل تباعا ، وبدأ عليٌّ يقاتل دونه مع رسول الله وبدأت الآيات القرآنية تنزل أيضاً في الإشادة بفضل عليّ ( عليه السلام ) وبفضائله ، لأجل نفس الهدف. وقد أخرج ابن عساكر علىٰ ما نقله السيوطي : « أنه ما نزل في أحدٍ من كتاب الله كما نزل في عليّ ... »[٣٧] ، وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس أيضاً « انه نزلت في عليّ ثلاثمائة آية »[٣٨] .

ونورد هنا بعض الآيات التي ذكر غيرُ واحدٍ أنها نزلت في عليٍّ ، وتدخل في هذا الإطار ، أي تؤشر حقيقة إعداد الأُمة وتربيتها في هذا الاتجاه :

أ ـ جاء قوله تعالىٰ : « **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحمَـٰنُ وُدّاً﴾**[٣٩] أخرج غير واحد من الحفاظ بأسانيد مختلفة أنها نزلت في عليّ ، لأنَّ مامن مسلم إلا ولعلي في

---

(٣٧) تاريخ الخلفاء / ص ١٧١ ، الصواعق المحرقة / لابن حجر / ص ١٢٧ .

(٣٨) المصدران السابقان .

(٣٩) مريم / ٩٦.

قلبه محبة ... »[٤٠].

فعن البراء بن عازب قال: « قال رسول الله ( صلىٰ الله عليه وآله ) لعلي بن أبي طالب يا عليّ: قل اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودّة.

فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾ قال: نزلت في علي »[٤١].

ب ـ قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ ...﴾[٤٢] عن عليّ (عليه السلام) قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمٰن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ...﴾ قال: « هم الذين بارزوا يوم بدر عليّ وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة ... »[٤٣].

جـ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ...﴾[٤٤]. روى غير واحدٍ أن عبدالله ابن مسعود كان يقرأ هذه الآية هكذا: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بعليّ بن أبي طالب[٤٥].

---

(٤٠) راجع ما نزل من القرآن في علي / لابي نعيم الأصبهاني / جمع الشيخ المحمودي / ص ١٣٠ وما بعدها.

(٤١) شواهد التنزيل / الحسكاني / ج ١ / ص ٣٦٠ / ٣٦١ ط ١.

(٤٢) سورة الحج / آية ١٩.

(٤٣) التاج الجامع للأصول / ج ٤ / ص ١٨١، وقال رواه الشيخان (البخاري ومسلم) كتاب التفسير.

(٤٤) الأحزاب / ٢٥.

(٤٥) «ما نزل من القرآن في علي» / لأبي نعيم / تحقيق المحمودي / ص ١٧٢. وراجع ⇐

د ـ قوله تعالىٰ ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّادِقِينَ﴾[٤٦].

ذكر غير واحدٍ من الحفاظ والمحدثين عن ابن عباس قال: هو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) خاصةً[٤٧].

هـ ـ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾[٤٨].

وورد بعدة، طرق أنها نزلت في عليّ، وذلك أنَّ نفراً من المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه[٤٩].

إنّ مما يؤكد أن هذه الآيات قد جاءت ونزلت لبيان منزلة علي (عليه السلام) وعظمة شخصيته، ودوره الكبير في حياة الرسالة والرسول، وأنَّ المؤمنين يلزمهم وعي هذه الحقائق والانقياد اليها، مما يؤكد ذلك هو ما جاء من الأحاديث النبوية في تثبيت هذه المعاني.

فقد روى الصحابي سعد بن أبي وقاص قال: «أمرني معاوية أن

---

⇐ ما نقله عن ميزان الاعتدال / الذهبي / ج٢ / ص ٣٨٠ ترجمة عياد بن يعقوب تحت الرقم ٤١٤٩.

(٤٦) التوبة / ١١٩.

(٤٧) «ما نزل من القرآن في علي» / لأبي نعيم / ص ١٠٤، وراجع الهامش فقد نقل روايات بأسانيد مختلفة، وراجع أيضاً: الصواعق المحارقة / لابن حجر /ص ١٥٢.

(٤٨) الأحزاب / ٥٨.

(٤٩) راجع تفسير الكشاف /ج٣ /ص ٥٥٩.

أسبَّ أبا التراب ، فقلت : أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ، فلن أسبّه ، لأن تكون لي واحدة منهن أحبُّ إليَّ من حُمر النّعم ، قد خلّفه رسولُ الله في بعض مغازيه ، فقال عليٌّ : يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان ، فسمعتُ رسول الله يقول : أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوةَ بعدي[٥٠] ، وسمعته يقول يوم خيبر : لأعطين الرايةَ رجلاً يحبُّ الله ورسولَه ، ويُحبُّه اللهُ ورسولُه ، قال : فتطاولنا لها[٥١] ، فقال : ادعو لي عليّاً ، فأُتي به أرمد ، فبصق في عينه ، ودفع الراية اليه ، ففتح الله عليه ، ولما نزلت هذه الآية : ﴿ **فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبنَآءَنَا وَأَبنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعنَةَ ٱللهِ عَلَىٰ ٱلكَاذِبِينَ** ﴾[٥٢] دعا رسول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، وقال : اللهم هؤلاء أهلي » رواه مسلم[٥٣] والترمذي[٥٤] .

إنَّ هذه الرواية ـ علىٰ طولها ـ التي رواها سعد تؤكد أموراً منها :

أ ـ نزول آية المباهلة ـ وهي الآية المذكورة في نص الرواية ـ في

---

(٥٠) حديث المنزلة سبق تخريجه ، راجع التاج الجامع للأصول /ج٣/ص ٣٣٢ رواه الشيخان والترمذي .

(٥١) راجع : الرواية عن أبي هريرة وفيها قال عمر: «ما أحببتُ الإمارة إلا يومئذٍ فتساورت لها...» . التاج الجامع للأصول /ج٣ / ص ٣٣١ / رواه الشيخان .

(٥٢) آل عمران / ٦١ .

(٥٣) صحيح مسلم /ج ٤ / ص ١٨٧٣ .

(٥٤) صحيح الترمذي /ج٥ / ص ٥٩٦ ، وراجع الصواعق المحرقة / لابن حجر / ص ١٤٣ . وراجع الرواية في التاج الجامع للاصول /ج٣ / ص٣٣٣ .

عليّ وزوجته البتول وولديهما الحسن والحسين (عليهم السلام).

ب ـ تؤكد أن هؤلاء هم أهل البيت دون سواهم[٥٥]. وبالتالي نفهم أنهم هم المقصودون في آية التطهير التي هي قوله تعالىٰ: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٥٦] وفي آية التطهير هذه يتبين لنا نزاهة عليّ وأمانته، وسمو ذاته وطهارته، بل عصمته.

ومن هنا يبدأ الاستحقاق لأن يحتلَّ عليٌّ مقام الخلافة والولاية وقيادة المسيرة، قال الراغب الأصفهاني: «لا يصلح لخلافة الله ولا يكمل لعبادته وعمرة أرضه إلا من كان طاهر النفس قد أُزيل رجسها ونجسها، فللنفس نجاسة كما إنّ للبدن نجاسة، لكن نجاسة البدن قد تدرك بالبصر ونجاسة النفس لا تدرك إلا بالبصيرة .... وإنما لم يصلح لخلافة الله إلا من كان طاهر النفس، لأنَّ الخلافة هي الاقتداء به تعالىٰ علىٰ الطاقة البشرية، ومن لم يكن طاهر القول والفعل فكل إناء بالذي فيه يرشح...»[٥٧].

---

(٥٥) التاج الجامع للأصول /ج٤ / ص ٢٠٧ قال روىٰ الترمذي ومسلم عن عمر بن أُم سلمة ربيب رسول الله: لما نزلت هذه الآية ـ التطهير ـ في بيت أُم سلمة دعا رسول الله فاطمة وحسناً وحسيناً وعلياً، فجللهم بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالت ام سلمة، وأنا معهم يا رسول الله. قال: أنت علىٰ مكانك، وأنت علىٰ خير.

(٥٦) الأحزاب / ٣٣.

(٥٧) الذريعة إلى مكارم الشريعة / ابن المفضل الراغب الأصفهاني / ص ٢٩ مراجعة وتعليق طه عبدالرؤوف سعد / ط١ / مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة / ١٣٩٣ هـ، وراجع استفادة ←

يتبين لنا من ذلك أنَّ القرآن الكريم بعد أن أشادَ بفضل علي وبفضائله، ارتقىٰ به إلى منزلة التزكية المطلقة «التطهير» ثم صعدَ به إلى منزلةٍ علىٰ غاية من الأهمية إذ جعل نفسَ عليّ كنفس النبي محمد (صلىٰ الله عليه وآله) كما هو صريح آية المباهلة. وتأسيساً على ذلك، أكدّ النبي (صلىٰ الله عليه وآله) مراراً وكراراً قائلاً: «عليّ مني وأنا من علي»[٥٨] وعندما حاول بعض الناس الشكوىٰ من عليّ بغيةَ التشويش عل مقامه هذا ومنزلته، قال رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله): «ما تريدون من عليّ..؟» ردّدها ثلاثاً، ثم قال «إنَّ علياً مني وأنا منه»[٥٩].

ومن أجل قطع الطريق أمام المتشككين بهذه المنزلة الرفيعة التي أنزل الله تعالى فيها عليّاً، ولترسيخ وتأكيد ولايته وخلافته بعد النبي، في كل ما يهم المسلمين من أجل ذلك جاء قوله تعالىٰ: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** ﴾[٦٠] فقد ذكر الزمخشري أن هذه الآية المباركة نزلت في عليّ (عليه السلام) حين سأله سائل، وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه[٦١]. ولإزالة الالتباس، وقطعاً لدابر أيّ تأويل في المراد بالولي

---

⇐ العصمة من آية التطهير / الأُصول العامة للفقه المقارن / محمد تقي الحكيم /ص ١٧٤.

(٥٨) التاج الجامع للأصول /ناصف /ج٣/ص ٣٣٤، وراجع تاريخ الخلفاء /السيوطي /ص ١٦٩.

(٥٩) صحيح الترمذي /ج٥ / ص ٥٩٤.

(٦٠) المائدة / ٥٥.

(٦١) الكشاف / الزمخشري / ج١ / ص ٦٤٩ قال في الهامش في تخريج الحديث: رواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن كهيل: قال: تصدق عليّ بخاتمه وهو راكع فنزلت / أي الآية. ⇐

وتشخيصه في مثل هذه الموارد، صرّح النبي (صلىٰ الله عليه وآله) في أكثر من مناسبة قائلاً: «إنَّ عليّاً مني، وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي...»[٦٢] ولتأكيد ولاية عليّ، ودوره الهام بالنسبة إلى الرسالة الإسلامية قال رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله): «عليٌّ مني وأنا من عليّ ولا يؤدي عني -أي بصفته نبيّاً رسولاً- إلا أنا وعليّ...»[٦٣] ثُم رُسّخ هذا المفهوم عمليّاً جهاراً نهاراً في قصة تبليغ سورة براءة، كما أخرج هذه الرواية الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بكر الصديق أنه قال: «إنَّ النبي بعثه ببراءة إلى أهل مكة، فسارَ ثلاثاً ثم قال لعلي: الحقه، فردَّ عليٌّ أبا بكر وبلّغها، فلما قدم أبو بكر علىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: يا رسول الله حدثَ فيَّ شيء، قال: ما وجدتُ فيك إلا خيراً، لكنني أُمرت أن لا يبلغ إلا أنا أو رجلٌ مني...»[٦٤] وفي الكشاف: روي أنَّ أبا بكر لما كان ببعض الطريق -أي لتبليغ سورة براءة- هبط جبرائيل (عليه السلام)، فقال: «يا محمد: لا يبلغن رسالتك إلا رجلٌ منك، فأرسل عليّاً...»[٦٥].

وأخيراً ختم القرآن الكريم هذا الموضوع الحيوي والمهم أي

---

⇐ ولابن مردويه عن سفيان الثوري عن ابن سنان عن الضحاك عن ابن عباس مثله.

وراجع أيضاً أسباب النزول / الواحدي / ص ١٣٤ قال: نزلت في علي.

(٦٢) صحيح الترمذي /السابق - باب فضائل الإمام عليّ، وراجع التاج الجامع للأصول /ج٣/ص٣٣٥.

(٦٣) المصدر السابق.

(٦٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل /ج١ /ص٣ - طبعة دار صادر، وراجع: تفسير الكشاف الزمخشري /ج٢ / ص٢٤٣، وراجع الرواية أيضاً في صحيح الترمذي /ج٥ / ص ٥٩٤.

(٦٥) الكشاف / المصدر السابق.

عملية الإعداد الفكري والتربوي في آخر ما نزل منه في آية التبليغ ثم في آية إكمال الدين بعد حديث الغدير المشهور، وعنده لم يعد هناك عذرٌ لمعتذر. وقصة الغدير ـ كما تناقلها الرواة مع بعض الاختلاف ـ هي كما يأتي:

لما رجع رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) من حجة الوداع، نزل عليه الوحي مُشدِّداً ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾(٦٦) فحطّ الركبُ عندَ غدير خمّ، وجمع الناس في منتصف النهار، والحرُّ شديد، وخطب فيهم قائلاً، كأني قد دُعيت فأجبتُ وإني تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتابَ الله وعترتي ـ وفي رواية مسلم(٦٧) وأهل بيتي ـ فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض ... ثم قال: إنَّ الله مولاي، وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد عليٍّ فقال: من كنت مولاه فهذا وليُّه ـ فهذا مولاه(٦٨) ـ اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره(٦٩) .. وأدر

---

(٦٦) المائدة / ٦٧، قال الواحدي في أسباب النزول / ص ١٣٥، نزلت في غدير خم.

(٦٧) صحيح مسلم / ج ٤ / ص ١٨٧٤.

(٦٨) التاج الجامع للأصول / ج ٣ / ص ٣٣٣. رواية عن زيد بن أرقم عن النبي (صلىٰ الله عليه وآله) وهي في صحيح الترمذي أيضاً / ج ٥ / ص ٥٩١.

(٦٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل / ج ٤ / ص ٢٨١، ٣٦٨ دار صادر، وراجع تفسير ابن كثير / ج ١ ص ٢٢. وراجع سنن ابن ماجة / المقدمة / ج ١ / باب ١١ وراجع تحقيقات وافية شافية في أسانيد الحديث الغدير / العلامة الأميني. وراجع البداية والنهاية / لابن كثير أيضاً بعدة طرق / ج ٧ / ص ٣٦٠ / ٣٦١.

الحقُّ معه حيثما دار..[(٧٠)] وقد أعقبَ هذا الحدث الكبير نزول الوحي مرةَ اخرىٰ بقوله تعالى: ﴿... ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِيناً...﴾[(٧١)].

وقد ورد في بعض الروايات أن الرسول القائد (صلىٰ الله عليه وآله) قال بعد نزول هذه الآية في ذلك اليوم المشهود وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجة[(٧٢)] يوم الغدير قال: «الله أكبر، الحمد لله علىٰ اكمال الدين واتمام النعمة ورضى الرب برسالتي وبالولاية لعلي بعدي»[(٧٣)].

وفي رواية لأحمد، «فلقيه عمر بن الخطاب ـ أي لقى علياً ـ بعد ذلك، فقال له هنيئاً أصبحت وأمسيتَ مولىٰ كل مؤمن ومؤمنة...»[(٧٤)].

ومما يؤسف له حقاً أن بعض الناس كان لايرضيهم أن يُعطىٰ عليّ مثل هذه الامتيازات والمقامات، وكان بعض الناس يكثر لغطه واعتراضه عندما يَخصُّ الرسول القائد علياً بذلك، فيضطر الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله أن يذكّرهم بأنه رسول ربّ العالمين

---

(٧٠) التاج الجامع للأصول /ج٣ /ص ٣٣٧. رواه مستقلاً: «رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار..».

(٧١) المائدة / ٣.

(٧٢) راجع الإتقان / السيوطي / ج١ / ص ٧٥ في رواية نزول الآية يوم الغدير وأنه يوم الثامن عشر من ذي الحجة. وراجع أسباب النزول / الواحدي / ص ١٣٥.

(٧٣) مناقب أمير المؤمنين / الحافظ محمد بن سلمان الكوفي القاضي / من أعلام القرن الثالث / تحقيق الشيخ المحمودي/ج١ / ص ١١٩ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية / قم / ١٤١٢ هـ.

(٧٤) منسد الإمام أحمد بن حنبل / ج ٤ / ص ٢٨١، وقد أشهد عليٌّ جمعاً من الناس، فشهد له ثلاثون أنهم سمعوا هذا الحديث من رسول الله. ابن كثير / البداية والنهاية / ج٧ /ص ٣٦٠.

الذي يصدع بما يؤمر وأنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(٧٥).

ومن الشواهد على ذلك؛ ما رواه الترمذي وحسنه، عن جابر ابن عبدالله قال: «دعا رسولُ الله (صلىٰ الله عليه وآله) عليّاً يوم الطائف فانتجاه - أي كلّمة سرّاً - فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمّه، فقال الرسول: ما انتجيته ولكن الله انتجاه ...»(٧٦).

وعن ميمون عن زيد بن أرقم قال: «كان لنفرٍ من أصحاب رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) أبواب شارعة في المسجد قال: فقال رسول الله يوماً سدّوا هذه الأبواب إلا باب عليّ، قال: فتكلم في ذلك الناس، قال: فقام رسول الله فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعدُ فإني أُمرتُ بسدِّ هذه الأبواب، إلّا باب عليّ، وقال فيه قائلكم؛ وإني والله ما سددتُ شيئاً ولا فتحتُهُ، ولكني أُمرتُ بشيء فاتبعتُه ...»(٧٧)

وهكذا كان رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) كلما يخصُّ عليّاً دون سواه بأمر، يصرحُ لهم، ويبين للأمة أنَّ ذلك إنما هو بأمر من الله تعالىٰ. وقد حدث ذلك في إرسال عليّ (عليه السلام) لتبليغ سورة براءة بدلاً من أبي بكر، وحدث ذلك يوم المناجاة في الطائف،

---

(٧٥) النجم / ٣ - ٤.

(٧٦) راجع صحيح الترمذي /ج٥/ص٥٩٧، وراجع البداية والنهاية / لابن كثير /ج٧/ص٣٦٩، وراجع التاج الجامع للأصول /ج٣ / ص ٣٣٦.

(٧٧) مسند الإمام احمد /ج ٤ / ص ٣٦٩، وراجع تاريخ ابن كثير /ج٧ / ص ٣٥٥.

وحدث ذلك يوم الغدير، إلى غير ذلك. ومما يلاحظ أيضاً أن المواقف الحاسمة في تاريخ الإسلام، وفي حياة الرسول الأعظم (صلىٰ الله عليه وآله)، بما فيها ما يتصل بحماية التجربة الإسلامية ومستقبلها، يلاحظ أن الرسول القائد كان يقدّم عليّاً ويدعوه شخصياً دون غيره لحسم تلك المواقف ودفع الخطرِ الداهم، حدث ذلك في معركة بدر الكبرىٰ، إذ كان عليٌّ صاحب الراية، وقتل من صناديد المشركين من قتل، وحدث ذلك يوم أُحد إذ قتل عليٌّ طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين، روى الطبري قال: لما قتلَ عليٌّ بن أبي طالب أصحاب الالوية، أبصرَ رسولُ الله جماعةً من المشركين فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرق جمعهم، وقتل عمرو الجمحي، ثم أبصرَ رسولُ الله (صلىٰ الله عليه وآله) جماعةَ من المشركين، فقال لعلي احمل عليهم، فحمل عليهم ففرق جمعهم وقتل شيبة بن مالك، فقال (جبريل) يا رسولَ الله إنَّ هذه للمواساة، فقال رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله): إنه مني وأنا منه، فقال (جبريل) وأنا منكما، قال الطبري ثم سمعوا صوتاً يهتف:

**«لا سيف الا ذو الفقار * ولا فتىٰ إلا علي»**[٧٨].

ويكفي ما نقله سعد بن أبي وقاص علىٰ ماروىٰ الشيخان في يوم خيبر[٧٩].

---

(٧٨) تاريخ الطبري / ج٢ / ص ٢٥ وص ٦٥ ـ ٦٦ ـ طبعة المكتبة العلمية ـ بيروت.

(٧٩) رواية سعد أخرجها الشيخان / راجع هامش ٥٤ و ٥٥.

وقد يكون من المناسب أن نذكر هنا ما أخرجه الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: ولقد عاتبَ اللهُ أصحاب رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) في غير موضع وما ذكر علياً إلا بخير[٨٠].

---

(٨٠) تاريخ الخلفاء / السيوطي / ص ١٧١.

## المبحث الثالث

### مدخلية اختصاص عليّ بالمعرفة القرآنية في الإعداد لخلافته

في ضوء ما تقدم، لاحظنا أن هناك علاقة وارتباطاً من نوع خاصٍ بين عليّ (عليه السلام) والقرآن الكريم، نشأت هذه العلاقة، ونمت، وتطورت حتىٰ انتهت ـ علىٰ حد تعبير الرسول الأعظم (صلىٰ الله عليه وآله) ـ إلى أنَّ: «القرآن مع عليّ، وعليّ مع القرآن، ولن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض...»[81]. وكذلك انتهت أيضاً إلى أنّ علياً سيقاتل علىٰ تأويل القرآن كما كان قد قاتل علىٰ تنزيله[82]، فما هي مدخلية ذلك في عملية الإعداد الفكري والتربوي لخلافة علي؟

نستطيع أن نؤكد أولاً أن الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه نفسه قد قام بتنمية وترسيخ مثل هذه العلاقة، وبأمر من الله تعالى كما كان يحدث دائماً. ويظهر أنَّ هدفاً كبيراً يلزم الوصول إليه عِبرَ

---

(٨١) راجع: الصواعق المحرقة /لابن حجر/ص١٢٣ وراجع تاريخ الخلفاء/السيوطي/ص ١٧٣.

(٨٢) ينابيع المودة/ القندوزي البلخي الحنفي /ج ٢ /ص٥٨/ط١ منشورات الأعلمي / بيروت.
وراجع الصواعق المحرقة / لابن حجر / ص١٢٧.

تلك الإجراءات والخطوات العلمية والعملية.

ونستطيع أن نبين ذلك الهدف في ضوء الملاحظات الآتية:

**أولاً:** إنَّ منطق الشريعة الخالدة الكاملة يقتضي تأمين الوصول إلى فهم القرآن ومعرفة تفسيره وفقهِ أحكامه، بصفته المصدر الأساس(٨٣) لهذه الشريعة الخالدة وإن تحكيم القرآن في البلاد والعباد هو ما أمرنا الله تعالى به، إذ جاء فيه: ﴿ **أَفَحُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾(٨٤). ومقتضاه أن نحتكم إلى القرآن في كل صغيرة وكبيرة. وأن نكفر بحكم الجاهلية الذي هو حكم الأهواء. كما نهانا الله تعالى أيضاً أن نتحاكم إلى الطاغوت، فقال: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَىٰ ٱلطَّاغُوتِ وقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً** ﴾(٨٥).

وقد جعل القرآن الكريم هنا اختيار التحاكم إلى غير ما انزل الله وإلى غير رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) تحاكماً إلى الشيطان(٨٦) الذي يسير بهم إلى الضلال حتماً، ثم أكدّ القرآن الكريم أن الاحتكام الى غير ما انزل الله هو فسق وظلم وكفر؛ قال تعالىٰ ﴿ **... وَمَن لَّمْ**

---

(٨٣) كون القرآن المصدر الأول والأساس للشريعة الإسلامية محل اجماع الملة الإسلامية.
راجع: الأصول العامة للفقه المقارن / العلامة محمد تقي الحكيم / ص ١٠١.

(٨٤) المائدة / ٥٠.

(٨٥) النساء / ٦٠.

(٨٦) الكشاف / الزمخشري / ج١ / ص ٥٢٥.

يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلفَاسِقُونَ ﴾[٨٧] وقال تعالى : ﴿ ... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ﴾[٨٨] وقال تعالىٰ ﴿ ... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلكَافِرُونَ ﴾[٨٩] وقد بُعث نبينا محمد ( صلىٰ الله عليه وآله ) لإمحاء صفحة الظلم والفسق والكفر.

إذن فبحسب منطق القرآن ، يكونُ عدم الرجوع إلى أحكام القرآن التي أنزلها الله تعالى ، يعني الاحتكام إلى الطاغوت[٩٠] ، وعليه فإذا كان ذلك أي الرجوع إلى أحكام القرآن . أمراً إلهياً ، وارادة ربانية ، وإذا كان ذلك يتطلب بالضرورة الوصول إلى حكم الله تعالى الذي أنزله في القرآن الكريم ، فلا بدَّ من افتراض من هو مؤهل ومعدٌّ إعداداً أميناً لتحقيق ذلك الأمر الإلهي ، وتلك الإرادة الربانية ، وليس ذلك بالضرورة إلا رسول الله ( صلىٰ الله عليه وآله ) أو من هو منه يؤدي عنه[٩١] ، ويبلغ عنه ، ومؤهل مثله ، ومعدٌّ لذلك الغرض.

**ثانياً** : إنّ العلماء قد وقع بينهم الاختلاف الكثير ، وقد حصل ذلك منذ وقت مبكر ، بالأخص في الأقضية التي تهمُّ الناس ، وتتصل بحياتهم،

---

(٨٧) المائدة / ٤٧ .

(٨٨) المائدة / ٤٥ .

(٨٩) المائدة / ٤٤ .

(٩٠) الطاغوت: يطلق علىٰ كل رئيس في الضلالة ، وعلىٰ كل من عُبد من دون الله ، ويطلق على الكافر والشيطان والأصنام /مجمع البحرين /الطريحي /ج١ /ص ٢٧٦ ، باب الألف أوله ط .

(٩١) راجع قصة تبليغ سورة براءه / مسند الإمام احمد بن حنبل /ج١ / ص ٣ طبعة دار صادر ، وراجع نصّ الحديث في الصواعق المحرقة / لابن حجر / ص ١٢٢ .

وليس إلا بسبب عدم فقههم بالقرآن.

وقد تحدث الإمام عليّ عن هذه المسألة في معرض ذمّهِ لمثل هذا الاختلاف مع وجود القرآن بين أظهرهم، فقال (عليه السلام): «تردُ علىٰ أحدهم القضية، في حكم من الأحكام، فيحكم فيها برأيه، ثم تردُ تلك القضية بعينها علىٰ غيره، فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوّب آراءهم جميعاً، والههم واحد! ونبيّهم واحد! وكتابهم واحد! أفأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه؟! أم نهاهم عنه فعصوه؟! أم أنزل الله ديناً ناقصاً ماستعان بهم علىٰ اتمامه؟! ام كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضىٰ؟! أم أنزل الله ديناً تاماً فقصّر الرسول (صلىٰ الله عليه وآله) عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿... **مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلكِتَابَ مِن شَيْءٍ**﴾[٩٢]، ﴿... **وَنَزَّلْنَا عَلَيكَ ٱلكِتَابَ تِبيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً** ...﴾[٩٣]، وذكر أن الكتابَ يصدق بعضه بعضاً وانه ـ أي القرآن ـ لا اختلاف فيه فقال سبحانه ﴿... **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيرِ ٱللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً**﴾[٩٤]. وإنّ القرآن ظاهره أنيق ...»[٩٥] إذن

---

(٩٢) الأنعام / ٣٨.

(٩٣) النحل / ٨٩.

(٩٤) النساء / ٨٢.

(٩٥) راجع النص في الخطبة ١٨ / نهج / البلاغة ضبط الدكتور صبحي الصالح / ص ٦٠ / ٦١، وراجع: الصواعق المحرقة / ص ١٥٢، نقل عن الإمام زين العابدين في دعاء له قائلاً: «فالى من يفزع خلف هذه الأُمة وقد درست أعلام هذه الملة، ودانت الأُمة بالفرقة

بموجب هذا وبمقتضاه لا بدّ من افتراض إِعدادِ أحدٍ مؤهلٍ لفقه القرآن.

**ثالثاً**: إن اختصاص عليٍّ بالعلوم القرآنية، وبمعرفة القرآن ظاهره وباطنه محكمة ومتشابهه، خاصه وعامه، وإنَّ قدرته الفذّة علىٰ فهم آياته وفقه أحكامه، أمرٌ متسالم عليه عند علماء الصحابة ـ كما نوهنا ـ[٩٦] وقد ساعدت النصوص النبوية، علىٰ تأكيده وبيانه ـ كما ذكرنا ـ ويؤيده أيضاً، ما أورده أصحاب التفسير والأثر عن عليٍّ (عليه السلام) ومن طرق اُخرىٰ: قال رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله): «يا عليُّ إنَّ الله عزَّ وجل أمرني أن اُدنيك واُعلمك لتعِي، وأنزلت هذه الآية ﴿ **وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ** ﴾[٩٧] فأنت اُذن واعية لعلمي ...»[٩٨].

وقد جاء عن عليّ (عليه السلام) أيضاً قوله.

«ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن اُخبركم عنه ... إلّا وإنَّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم

---

والاختلاف يكفر بعضهم بعضاً، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ ﴾ فمن الموثوق به علىٰ إبلاغ الحجة وتأويل الحكم إلا أبناء أئمة الهدى، ومصابيح الدجىٰ الذين احتج الله بهم علىٰ عباده، ولم يدع الخلق سدىً من غير حجة، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وبرأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب ...».

(٩٦) راجع الصفحة (١١٣) في الملحق.

(٩٧) الحاقة / ١٢.

(٩٨) راجع: ما نزل من القرآن في عليّ / لأبي نعيم / تحقيق المحمودي / ص ٢٦٦ وقد ذكر المحقق في الهامش أسانيده. وراجع الدر المنثور / السيوطي / ج٦ / ص ٢٦٠ منشورات المرعشي.

أمركم... »[٩٩] . وهكذا يصرّحُ الإمامُ عليٌّ ويؤكد بان هذا القرآن بما انطوى عليه من هذه المطالب الجليلة والمعاني العميقة من شفاء الأدواء الاجتماعية ، وانتظام أُمور الحياة بكل جوانبها ، كل ذلك لا يكون بمقدور أحدٍ أن يصل إليه ، أو يفقههُ إلا هو ، وإلا عن طريقه . وهكذا يتضح لدينا أنه ليس هناك أحدٌ مؤهل لفقه القرآن ومعدّ لتحقيق الأمر الإلهي وتنفيذ الإرادة الربانية بإزالة الظلم والفسق والكفر غير عليّ بن أبي طالب حصراً . كما هو مقتضىٰ النصوص والوقائع . وهو الافتراض المنطقي والمعقول جداً لتفسير الاجراءات العلمية والعملية التي اتخذها الرسول القائد ( صلىٰ الله عليه وآله ) بإفراد عليٍّ وتخصيصه دون غيره بالعلوم القرآنية والمعارف القرآنية والأحكام القرآنية كما صرحت النصوص المتواترة .

وأخيراً يقتضي الموقف أن نعالج تساؤلاً يثور بالضرورة ، أو هو طالما أُثير مراراً وهو :

إذا كانت كل تلك الإجراءات والخطوات العلمية والعملية قد اتُّخذت من أجل تولي عليّ بن أبي طالب الخلافة وقيادة المسيرة بعد الرسول الأعظم ( صلىٰ الله عليه آله ) فلماذا لم يكن هناك عهدٌ مكتوب بصورة جازمة قاطعة ليس فيه عذرٌ لمعتذر ولا تأويل لمتأول ؟ ![١٠٠] .

---

(٩٩) نهج البلاغة : ص ٢٢٣ / خطبة (١٥٨) .

(١٠٠) هذا السؤال أُثير في (المراجعات) بين العلامة شرف الدين ، والشيخ سليم البشيري شيخ ←

**وجوابه :**

إنَّ النصوص التي أوردناها ، والروايات المتضافرة التي تصرّح ببيان الرسول الأعظم (صلىٰ الله عليه وآله) ولاية علـيّ ووزارتـه ، وخلافته، وإمرته من بعده ، في مواقف لا تحصىٰ كثرة ، ومناسبات لا تعدُّ مما لم يحظ به أمرٌ ديني أو دنيوي ، ومما لم ينل من اهتمامه صلوات الله وسلامه عليه ما ناله مثل هذا الأمر ، حتىٰ انتهى الى الإعلان الرسمي يوم الغدير المشهود ، وإلى التصريح به مراراً ، كما اشرنا إليه ـ وكما ستجده في البحث الذي بين يديك للشهيد الصدر رضوان الله تعالى عليه ـ فضلاً عما اقتضاه منطق الأشياء ، ومـنطق الشريعة الخالدة الكاملة ، إنَّ ذلك كله فيه الكفاية لمن القىٰ السمع وهو شهيد. ومع ذلك كله فقد أراد الرسول القائد (صلىٰ الله عليه وآله) أن يختصر علىٰ الأُمة المعاناة ، وأن يكرمها بألطـاف العـناية الربانية فيجنبها العثرات وأسباب الضلال فقال صلوات الله وسلامه عليه وهو علىٰ فراش مرضه وفي آخر ساعات حياته الشريفة : « هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعدي أبداً ... »[١٠١] وقد كان عنده جمع من كبار الصحابة ، نعم أراد أن يكون ذلك عهداً مكتوباً يشهده جمعهم ، إلا أن الرزية كلَّ الرزية قد حدثت ـ علىٰ حد تعبير ابن عباس ـ عندما حيل بين النبي الأكرم وبين كتابة الكتاب علىٰ ما أخرجه البخاري قال :

---

⇐ الجامع الأزهر .

(١٠١) راجع الطبقات الكبرى /لابن سعد /ج ٢ /ص ٢٤٢ / ٢٤٤ طبعة دار بيروت للطباعة / ١٩٨٥ .

«لما اشتد بالنبي وجعه قال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده. قال عمر : إنَّ النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا . فاختلفوا وكثر اللغط . قال ـ أي النبي ـ قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع . فخرج ابن عباس يقول : الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه ... »(١٠٢) .

ولعل من المناسب أن نذكر هنا محاورةً رواها ابن عباس جرت بينه وبين عمر بن الخطاب في أوائل عهده بالخلافة ؛ وملخّصها أنَّ عمر قال له: « يا عبدالله عليك دماء البدن إن كتمتها .. هل بقي في نفس عليٍّ شيء من أمر الخلافة؟ قلتُ : نعم ، قال : أيزعم أنَّ رسول الله نصَّ عليه؟ قلت : نعم ، فقال عمر ، لقد كان في رسول الله من أمره ذروة من قول ، لا يثبت حجة ، ولا يقطع عذراً .. ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعتُ من ذلك اشفاقاً وحيطةً علىٰ الإسلام .. فعلم رسول الله ما في نفسي فأمسك... »(١٠٣) وسواء صحّت أم لا ، فإنّ هناك ما يؤيد هذا المسعىٰ من الخليفة عمر في أكثر من مناسبة لاحقاً ، وقد صرّح مرةً كما نقل الطبري عنه : « إن قومكم يكرهون أن تجتمع فيكم ـ والخطاب لابن عباس أيضاً ـ النبوة والخلافة... »(١٠٤) .

والظاهر أن ترك رسول الله ( صلىٰ الله عليه وآله ) للكتابة والعهد

---

(١٠٢) صحيح البخاري /ج١ /ص ٣٧ ، كتاب العلم ـ باب كتابة العلم ، وراجع ج٨ /ص ١٦١ كتاب الاعتصام. طبعة اوفسيت عن طبعة دار العامرة ـ استانبول ـ دار الفكر بيروت.

(١٠٣) شرح نهج البلاغة / لابن أبي الحديد /ج٣ /ص ٩٧ . دار الكتب العربية الكبرىٰ /مصر .

(١٠٤) راجع : تاريخ الطبري /ج٢ / ص ٥٧٧ / طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .

المذكور قد يكون لاعتبارين والله العالم:

**الأول**: هو وقوع الاختلاف والتنازع واللغط في الدار عند إرادة كتابة الكتاب ـ العهد ـ إلى الحدّ الذي وصل إلى اتهامه صلوات الله وسلامه عليه بأنه يهجر ـ كما في رواية[١٠٥] أو غلبه الوجع كما في رواية أخرىٰ ـ وهذا اتهام خطير يمسُّ أصل النبوة وصدق الرسالة. ثم إنَّ الأمر قد كان بيّنه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مراراً وكراراً كما وضحنا. فليبق إذن الاختيار، ولتبق القضية للامتحان والابتلاء.

**الثاني**: إنَّ النبي الأكرم صلوات الله وسلامه عليه قد اتخذ احتياطاً لمثل هذه الحالة الطارئة، إذ قد جهزَّ جيش أسامة بن زيد، وأمر بانفاذه علىٰ كل حالٍ، وقد بلغ من حرصه صلوات الله وسلامه عليه علىٰ إنفاذه مبلغاً عظيماً، إذ تذكر الروايات أن الرسول الأعظم مع بدء مرضه واشتداده لم يكن يشغله شيء عن محاولة انفاذ جيش أسامة[١٠٦]، وننقل من رواية ابن سعد في الطبقات ما يثبت ذلك، فقد قال ـ بعد أن ذكر تجهيز جيش أسامة ـ لما كان يوم الأربعاء بدأ برسول الله المرض فحُمّ.. فلما أصبح يوم الخميس عقَد لأسامة لواءً بيده ثم قال: اغزُ باسم الله وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله.. قال ابن سعد فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي، وعسكرَ بالجرف ـ وهو موضع علىٰ ثلاثة أميال من المدينة ـ مع وجوه

---

(١٠٥) راجع: النهاية في غريب الحديث والأثر / لابن الأثير / ج٥ / ص٢٤٦ / مادة هجرَ / تحقيق الطناحي.

(١٠٦) الكامل في التاريخ / لابن الأثير / ج٢ / ص ٢١٨ طبعة دار صادر.

المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ... فتكلم قومٌ وقالوا: أيستعمل علينا هذا الغلام علىٰ المهاجرين الأولين؟ فغضب الرسول (صلىٰ الله عليه وآله) غضباً شديداً، فخرج وقد عصبَ علىٰ رأسه عصابة، فصعد المنبر، وقال: «أما بعد أيها الناس فما مقالةٌ بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارة أسامة لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله إنْ كان للإمارة لخليقاً، وإنَّ ابنه من بعده لخليق للإمارة، إن كان لمن أحب الناس إليّ، وانهما لمحلان لكل خير، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم ...، ثم نزل صلوات الله عليه، فدخل بيته، وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول .. وثقل علىٰ الرسول المرض، وجعل يقول: انفذوا بعث اسامة ...»(١٠٧).

ويظهر من كل تلك المواقف والكلمات وتطورات الأحداث أن الرسول الأعظم إنما أراد من جملة ما أراد:

١ـ تهيئة الأجواء الفكرية والنفسية من جهة تأمير أسامة علىٰ وجوه المهاجرين والأنصار، فيكون قبوله سابقةً لقبول تولي عليّ الإمرة والخلافة، فلا يعترض معترض بكونه أصغر سناً من بعضهم.

٢ـ أراد أيضاً تهيئة الأجواء السياسية والأمنية وذلك بإبعاد عناصر المعارضة المحتملة(١٠٨)، ليتولى عليّ بن أبي طالب مهام الخلافة التي كان رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله) يتولّىٰ رعايتها والتخطيط

---

(١٠٧) الطبقات الكبرى / ج٢ / ص ٢٤٨ / ٢٥٠.

(١٠٨) المراجعات / العلامة عبد الحسين شرف الدين / ص ٤٧٢.

والسهر من أجل بلوغها، كما توضّح لنا ذلك.

ومع كل ذلك فقد جرت الأمور والأحداث علىٰ غير ما أراده رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله)، فقد أراد أن يختزل علىٰ الأُمة المعاناة، وأراد أن يجنبها ويلات تجربة الخطأ والصواب، أراد أن تتمسك الأُمة بالكتاب الكريم، وبالعترة الطاهرة لتسلم من التيه والضلال.

وهكذا ترك أمر (العهد القاطع الجازم المكتوب) لتظلَّ الأُمة عرضة للامتحان في مثل هذه القضية الخطيرة، وكما جرت السنن الإلهية، فقد قال تعالى: **﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ آمَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ * وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلكَاذِبِينَ﴾**(١٠٩).

نعم أراد الله تعالى ذلك، كما أراد رسوله الكريم أن يكون إيمان من يؤمن منهم بمن ولاّه عليهم، وجعلهُ خليفةً من بعده إيماناً راسخاً، واعتقادهم بأحقيته اعتقاداً عن تدبر، وتشيّعهم له تشيّعاً مخلصاً، حتىٰ تستمر المسيرة في تنفيذ الإرادة الإلهية تحت قيادته المباركة، ويتحقق إزالة الظلم والفسق والكفر من الوجود.

**﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلأَرۡضِ كَمَا ٱستَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي**

---

(١٠٩) العنكبوت / ١ ـ ٣.

ٱرتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾(١١٠).

## والحمد لله ربّ العالمين أولاً وآخراً

محرم الحرام / ١٤١٤ هـ

د. شراره

(١١٠) النور / ٥٥.

# مصادر ومراجع
# التحقيق والتعليق والملحق

## أ

١ ـ **الإتقان في علوم القرآن**/ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) /تحقيق الدكتور محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب /١٩٧٥ ـ منشورات الرضي ـ اوفسيت ـ مطبعة أمير / قم .

٢ ـ **الإحتجاج** / لأحمد بن أبي طالب الطبرسي / من أعيان القرن السادس الهجري ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت / ١٩٨٣ .

٣ ـ **أحكام القرآن** / ابن العربي محي الدين / تحقيق عليّ محمد البجاوي ، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه / ١٣٩٤ هـ.

٤ ـ **أساس الحكومة الإسلامية** / العلامة السيد كاظم الحائري / طبع بيروت ـ مطبعة النيل ١٣٩٩ هـ.

٥ ـ **الإسرائيليات في التفسير والحديث** / الدكتور محمد حسين الذهبي / دار الإيمان ـ دمشق ط٢ / ١٩٨٥ .

٦ ـ **اصول الكافي** / لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ) تصحيح الشيخ نجم الدين الآملي منشورات المكتبة الإسلامية ـ المطبعة الإسلامية /١٣٨٨هـ.

٧ ـ **الأصول العامة للفقه المقارن ـ مدخل الى دراسة الفقه المقارن** / العلامة محمد تقي الحكيم مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر ـ ط ٢ / ١٩٧٩ .

٨ ـ **الإرشاد** / محمد بن محمد بن النعمان العكبري الملقب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم ـ ايران .

## ب

٩ ـ **بحوث في تاريخ السنة المشرفة** / الدكتور أكرم ضياء العمري / مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط ٣ / ١٩٧٥ .

١٠ ـ **البداية والنهاية** / لابن كثير اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) / طبعة دار صادر ١٩٧٩.

## ت

١١ ـ **التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول** / الشيخ منصور عليّ ناصف / من علماء الأزهر دار احياء التراث العربي / ط ٣ / ١٩٦٢ ومصورة مكتبة پاموق ـ استانبول .

١٢ ـ **تاريخ الإمامية واسلافهم من الشيعة** /الدكتور عبدالله فياض / مطبعة أسعد / بغداد/ ١٩٧٠ .

١٣ ـ **تاريخ الخلفاء** / جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) / تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد طبعة مصورة .

١٤ ـ **تاريخ الطبري** / لأبن جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، الطبعة المحققة / دار التراث / بيروت ، وأيضاً طبعة المطبعة الحسينية ـ بمصر ـ الطبعة الاولى ، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان / ط ٢ / ١٩٨٨ .

١٥ ـ **تاريخ العرب قبل الاسلام** / الدكتور جواد عليّ نشر المجمع العلمي العراقي .

١٦ ـ **تاريخ اليعقوبي** / أحمد بن يعقوب اليعقوبي (ت بعد سنة ٢٩٢ هـ) طبعة دار صادر / بيروت ، طبعة المطعبة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

١٧ ـ **التفسير الكبير** / للإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) نشر دار الكتب العلمية ـ طهران /ط٣.

١٨ ـ **تمهيد لتاريخ الفلسفة** / الشيخ مصطفىٰ عبد الرزاق ، لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة ط ٣ / ١٩٦٦ .

## ح

١٩ ـ **حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية** / الدكتور محمد جابر عبدالعال ، مطبعة السنة المحمدية / القاهرة ـ ١٣٧٣ / ١٩٥٤.
٢٠ ـ **حلية الأولياء** / لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) دار الكتاب العربي ـ بيروت /ط ٥ / ١٤٠٧ هـ.

## د

٢١ ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** / جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) / منشورات مكتبة المرعشي / قم / ايران .

## س

٢٢ ـ **السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي** / لابن إدريس الحلي (ت ٥٩٨ هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين . بقم المشرفة / الطبعة الثانية / ١٤١١ هـ.
٢٣ ـ **السقيفة والخلافة** / عبد الفتاح عبد المقصود / دار غريب ـ القاهرة .
٢٤ ـ **سنن ابن ماجة** / ابن ماجة القزويني / تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي طبع دار الفكر ـ بيروت .
٢٥ ـ **سنن الدارمي** / لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت ٢٥٥ هـ) ، دار الفكر ـ القاهرة / ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ .
٢٦ ـ **السنن الكبرى** / لأبي عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣ هـ) تحقيق الدكتور عبد الغفار البنداري ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ١ / ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
٢٧ ـ **السيرة النبوية** /سيرة ابن هشام (ت ٢١٨ هـ) تحقيق مصطفى السقا وآخرون دار الكنوز الأدبية.

ش

٢٨ ـ **شرح نهج البلاغة** / لابن أبي الحديد المعتزلي ، طبعة دار الكتب العربية الكبرى ـ مصر ، الطبعة المحققة محمد أبو الفضل إبراهيم / نشر مكتبة المرعشي / قم .

٢٩ ـ **شواهد التنزيل** / الحافظ الحسكاني النيسابوري / من أعلام القرن الخامس / تحقيق الشيخ محمد باقرالمحمودي ، بيروت /١٣٩٣هـ

ص

٣٠ ـ **صحيح البخاري** / لمحمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، دار الطباعة العامرة ـ استانبول ١٣١٥ هـ ، طبعة دار القلم ـ بيروت / ط ١ / ١٩٨٧ .

٣١ ـ **صحيح الترمذي** / أبو عيسى عليّ بن عيسىٰ الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) تحقيق كمال الحوت طبعة دار الفكر ـ بيروت .

٣٢ ـ **صحيح مسلم** / مسلم بن الحسين القشيري (ت ٢٦١ هـ) / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي / ط٢ / ١٩٧٨ .

٣٣ ـ **الصلة بين التصوف والتشيع** / الدكتور كامل مصطفى الشيبي / مطبعة الزهراء ـ بغداد ١٣٨٢ / ١٩٦٣ .

٣٤ ـ **الصواعق المحرقة** / أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤ هـ) ، مكتبة القاهرة ـ شركة الطباعة الفنية المتحدة / ط ٢ / ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .



٣٥ ـ **الطبقات الكبرى** / محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) دار بيروت للطباعة / ١٩٨٥.

ع

٣٦ ـ **علوم الحديث ومصطلحه** / الدكتور صبحي الصالح ـ طبعة بيروت ـ دار العلم للملايين .
٣٧ ـ **العقد الفريد** / لابن عبدربه الأندلسي (ت ٣٢٧ هـ) طبعة دار مكتبة الهلال ط ١ / ١٩٨٦ .
٣٨ ـ **عمدة القاري** / بدر الدين العيني (ت ٨٥٥ هـ) دار إحياء التراث / بيروت.

ف

٣٩ ـ **فتوح البلدان** / البلاذري أحمد بن يحيىٰ بن جابر (ت ٢٧٩ هـ) تعليق ومراجعة رضوان محمد رضوان ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت / ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ .

ك

٤٠ ـ **الكامل في التاريخ** / لابن الأثير ، طبعة دار صادر / بيروت / ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ .
٤١ ـ **الكشاف** / جار الله الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) ضبط مصطفىٰ حسين أحمد نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت / ط٣ / ١٩٨٧ .

م

٤٢ ـ **ما نزل من القرآن في عليّ** / لأبي نعيم الأصبهاني ت ٤٣٠ هـ / تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي منشورات مطبعة الإرشاد الإسلامي / ط ١ / ١٤٠٦ ـ طهران .
٤٣ ـ **مجمع البحرين** / الطريحي فخر الدين بن محمد عليّ بن أحمد (ت ١٠٨٥ هـ) تحقيق السيد أحمد الحسيني / منشورات المكتبة المرتضوية ـ طهران .

٤٤ ـ **مختصر تاريخ ابن عساكر** / لابن منظور الأفريقي ـ صاحب لسان العرب (ت ٧٧١ هـ) تحقيق إبراهيم صالح دار الفكر ـ دمشق / ١٩٨٩ ، تحقيق أحمد راتب حموس جـ ١٧ .

٤٥ ـ **المراجعات** / العلامة عبد الحسين شرف الدين / تحقيق حسين الراضي نشر دار الكتاب الاسلامي .

٤٦ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل** / طبعة دار صادر ـ بيروت .

٤٧ ـ **المستدرك على الصحيحين** / الحاكم النيسابوري / تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية ـ بيروت / ط ١ / ١٤١١ هـ.

٤٨ ـ **مروج الذهب** / المسعودي تحقيق عبدالأمير مهنّا / مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / ط ١ ١٤١١ هـ.

٤٩ ـ **المعالم الجديدة للأصول** / الإمام الشهيد الصدر مطبوعات مكتبة النجاح ـ طهران / ط ٢ ١٩٧٥ / ط ١ / مطبعة النعمان / النجف الأشرف .

٥٠ ـ **معالم المدرستين** / العلامة السيد مرتضىٰ العسكري / نشر قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة / الطبعة الأولىٰ / ١٤٠٥ هـ.

٥١ ـ **المقدمة** / العلامة ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .

٥٢ ـ **الملل والنحل** / ابن عبدالكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) / تصحيح وتعليق الشيخ أحمد فهمي محمد / مطبعة حجازي / القاهرة / ط ١ / ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ .

٥٣ ـ **مناقب أمير المؤمنين** / الكوفي من أعيان القرن الثالث / تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي .

٥٤ ـ **مناهج الاجتهاد** / الدكتور محمد سلام مدكور / مطبوعات جامعة الكويت ١٩٧٧ م .

ن

٥٥ ـ **النزاع والتخاصم فيما بين امية وبني هاشم** / تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) تحقيق الدكتور حسين مؤنس / انتشارات الشريف الرضي / ط ١ ١٤١٢ هـ قم ـ ايران .

٥٦ ـ **النص والاجتهاد** / العلامة عبدالحسين شرف الدين / تقديم السيد العلامة محمد صادق

الصدر ـ دار النهج ـ بيروت.

٥٧ ـ **النظريات السياسية الإسلامية** / الدكتور محمد ضياء الدين الريس / ط٦ / دار التراث القاهرة ١٩٧٦ م.

٥٨ ـ **النظم الإسلامية** / الدكتور صبحي الصالح / دار العلم للملايين.

٥٩ ـ **النظم الإسلامية** / الدكتور عبدالعزيز الدوري / مطبعة نجيب ـ بغداد ـ ١٩٥٠ م.

٦٠ ـ **النهاية في غريب الحديث** / لابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق محمود محمد الطناحي مؤسسة اسماعيليان / قم.

٦١ ـ **نهج البلاغة** / للإمام عليّ عليه السلام / ضبط الدكتور صبحي الصالح منشورات دار الهجرة ـ إيران ـ قم ط ٥ / ١٤١٢ هـ.




٦٢ ـ **وسائل الشيعة** / الحرّ العاملي (ت ١١٠٤ هـ) / تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث / قم ايران / ١٤١٢ هـ.




٦٣ ـ **ينابيع المودة** / القندوزي البلخي / منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.

المحتويات



# الفصل الأول

## كيف وُلد التشيّع

## الفصل الثاني

## كيف وجدت الشيعة



## ملحق البحث